

جَنَى الخُرْفَةِ فِي إِبْطَالِ القَوْلِ بِالصَّرْفَةِ

(مَحْتِ مَحْكَمٍ - وَعَقْدٍ دَرَسِيٍّ لِلدِّرَاسَاتِ العَلِيَا)

كُتِبَهُ

الفَقِيرُ إِلَى عَفْوِ رَبِّهِ البَارِي

عَرَفْتِيْنَ صُنْطَاوِيَّ

عَفَا اللهُ عَنْهُ

وَعَفَرَ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَمَشَاحِيخِهِ وَتَلْمِذَّتَيْهِ وَتِلْمِذَّتَيْهِ

عَمِيدِ كَلِيَّةِ أَصُولِ الدِّينِ وَالدِّرَاسَاتِ الإِسْلَامِيَّةِ

بِجَامِعَةِ خَاتَمِ المُرْسَلِينَ العَالَمِيَّةِ

وَأُسْتَاذِ التَّفْسِيرِ وَعُلُومِ القُرْآنِ لِلدِّرَاسَاتِ العَلِيَا

بِالْجَامِعَةِ الإِسْلَامِيَّةِ وَالمَعْهَدِ العَالِيِ لِلاُئِمَّةِ وَالمُخَطِّبَاءِ بِمِيسُوتَا

وَالرَّئِيسِ العَامِ لِمَرْكَزِ تَأْصِيلِ عُلُومِ التَّنْزِيلِ لِلْبَحْثِ العِلْمِيِّ وَالدِّرَاسَاتِ القُرْآنِيَّةِ

من إصدارات



مركز تأصيل علوم التنزيل
للبحوث العلمية والدراسات القرآنية



<https://taaseelcenter.com>



arafatantawy1440@gmail.com



+966503722153

موسوعة تأصيل علوم التنزيل
(١٤)

جَنَى الخُرْفَةِ فِي إِبْطَالِ القَوْلِ بِالصَّرْفَةِ

(بمحتى محكم - وعقود راسي للدراسات العليا)

كُتِبَهُ

الفقيه إلى عفوزبه الباري

عرفته بنظائري
عفا الله عنه

وَعَفَّرَ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِدُرَيْتِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

عَمِيدُ كَلِيَّةِ أَصُولِ الدِّينِ وَالدِّرَاسَاتِ الإِسْلَامِيَّةِ

بِجَامِعَةِ خَاتَمِ المُرْسَلِينَ العَالَمِيَّةِ

وَأَسْتَاذُ التَّفْسِيرِ وَعُلُومِ القُرْآنِ لِلدِّرَاسَاتِ العُلْيَا

بِالْجَامِعَةِ الإِسْلَامِيَّةِ وَالمَعْهَدِ العَالِيِ لِلأئِمَّةِ وَالخُطْبَاءِ بِمِينِيْسُوتَا

وَالرَّئِيسُ العَامُّ لِمَرْكَزِ تَأْصِيلِ عُلُومِ التَّنْزِيلِ لِبَحْثِ العِلْمِيَّةِ وَالدِّرَاسَاتِ القُرْآنِيَّةِ

١٤٤٢ هـ



مجلة البحوث الإسلامية
Journal of Islamic Research
إصدار علمي متخصص جامعي محكم
Scholarly Academic Refereed Bulletin
Concerned With Scholarly Research

الرقم: ٧/٣٠٩٤
التاريخ: ١٥/٢/١٤٤٢ هـ
المرفقات: --

إلى من يهمه الأمر

يرجى التكرم بالعلم بأن البحث المقدم من:

الدكتور / عرفة بن طنطاوي،

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد، بالجامعة الإسلامية والمعهد العالي للأئمة والخطباء-
بمينيسوتا، والجامعة الإسلامية- بيروكسل.

وعنوانه: (جنى الخُرقة في إبطال القول بالصرقة)

ورد إلى هيئة الإصدار، وخضع للتحكيم العلمي المتخصص، وأجيز للنشر بأحد أعداد المجلة، وتم
نشره بالعدد الستين، الصادر في شهر صفر ١٤٤٢ هـ، هذا وبالله التوفيق، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
مؤسس الإصدار ورئيس التحرير

أ. د. عبد الفتاح محمود إدريس



رقم إيداع المجلة بدار الكتب المصرية (٢٠١٥/٢٤٢٦٠) - الترقيم الدولي الموحد لها: (ISSN. ٢٥٣٦ - ٩٣١٨)

<http://www.journalofislamicresearch.com>

جمهورية مصر العربية. القاهرة. مساكن مدينة نصر. رمز بريدي: ١١٣٧١. ص. ب: ٨١٣١
Arab Republic of Egypt- Cairo, Housing of Nasr City, Post code: ١١٣٧١- P.O.Box, ٨١٣١
Tel: ٠٠٢٠٢ / ٢٣٢٧٤٠٢٠ -Mob: ٠٠٢/٠١٠٠٣٨٥٠٢٤٧ :Fax: ٠٠٢٠٢ / ٢٣٢٧٤٠٢٠
E-mail :dr.edris@hotmail.com

دِيْبَاجَةُ الْبَحْثِ

(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا) (الكهف: ١).
فبهر إعجازه الذاتي عقولَ أولي الألباب والنُّهى، وسلب ببلاغته فهومَ أولي الفهم والأبصار فعلموا
أن إعجازه ليس له منتهى، لأنه (تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) (فصلت: من آية: ٤٢). وذلك لما
حوته آياته من إعجاز وفصاحة وبيان، فهدى الله برحمته به من اصطفاه من عباده وفضله، وأضل
عنه أهل الشقاء بقسطه وعدله، فأقر أهل الإيمان بإعجازه الظاهر للعيان، وصرف الله أهل الشقاء
عن الإقرار بإعجازه، وقد قالوا بإمكان العرب أن يأتوا بمثله لولا أن صرفهم عن ذلك الملك الديان،
فأخرسهم الله بقوله: (قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ
وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) (الإسراء: ٨٨). فكانت تلك الآية من الحجج الدامغة وساطع
البرهان.

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له في ملك ولا معقب له في أمره، وأشهد أن محمدًا عبده
ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.
وبعد.

ملخص البحث

فهذا بحث لطيف مختصر، سعي فيه الباحث في حدود قدرة البشر للذب عن حياض الدين، والدفاع عن القرآن الكريم- كلام رب العالمين، ووحيه المبين-، المعجز بلفظه وأسلوبه، الذي تحدّى به الله الإنسَ والجنَّ أن يأتوا بمثله فعجزوا مجتمعين، وقد وسمه بـ "جَنَى الحُرْفَةِ فِي إِبْطَالِ القَوْلِ بالصَّرْفَةِ"^(١).

وقد تناول فيه الباحث دراسة "القول بالصَّرْفَةِ" الذي انطلقت الشرارة الأولى بالقول بها من المدرسة العقلانية الأولى-المعتزلة، والذين استقوا فكرتها من الفلسفة الهندية التي دعا لها "براهما" في كتاب: "الفيدا".

وقد عقد الباحثُ بحثه في فصلين اثنين:

أما الفصل الأول:

فقد تعرّض فيه الباحثُ لبيان مفهوم الصَّرْفَةِ في اللغة والاصطلاح ليَجَلِّي للقارئ معناها ويبين له فحواها.

ثم عرّج الباحثُ بعدها على بيان المعنى العام المقصود بالصَّرْفَةِ- إجمالاً وتفصيلاً- عند القائلين بها، فضمّن بذلك إيضاح المقصود العام للصَّرْفَةِ من جهتين:

(١)- ولا بد هنا من تعريف موجز لكلمتي: (جَنَى)، و(حُرْفَةِ).

أولاً: تعريف كلمة: (جَنَى)

أ - جَنَى: (فعل): جَنَى ثَمَارَ مَا عَرَسَ: قَطَفَهُ، عَنَمَهُ، وَجَنَى لَهُ التَّمْرَةَ: نَأَوَلَهُ إِيَّاهَا.

ب- جَنَى: (اسم) الجمع: أَجْنَاءُ، أَجْنٍ، مصدر جَنَى: مَا يُجْنَى مِنَ التَّمْرِ أَوْ العِنَبِ أَوْ العَسَلِ وَغَيْرِهِ وَاحِدُهُ جَنَاءٌ، يُقَالُ: أَتَانَا بِجَنَاءٍ طَيِّبَةٍ، والجَنَى: كَلٌّ مَا يُجْنَى أَوْ يَقْطَفُ مِنَ الشَّجَرِ، يُنْظَرُ: تعريف ومعنى جنى في معجم المعاني الجامع. ثانياً: تعريف كلمة: (الحُرْفَةِ)

الحُرْفَةُ: ما يُجْنَى مِنَ القَوَاكِهِ فِي الحَرِيفِ، وَحَرْفَ يَحْرُفُ، حَرْفًا وَحَرْفًا، فَهُوَ حَارِفٌ، وَالمَفْعُولُ مَحْرُوفٌ وَحَرِيفٌ. يُنْظَرُ: تعريف ومعنى خرفة في معجم المعاني الجامع.

وفي الحديث الصحيح عَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَزَلْ فِي حُرْفَةِ الْجَنَّةِ) قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَمَا حُرْفَةُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: (جَنَاهَا). رواه الإمام مسلم: (٢٥٦٨). والمعنى أن عائد المريض لا يزال يجني من خرفة الجنة وثمارها مُدَّةً بقائه عند المريض، فهو في خرفة الجنة وفي روضتها يلتقط من ثمارها ومُجْتَنَاهَا.

من جهة: -المعنى اللغوي والاصطلاحي-، ومن جهة: مقصد القائلين بالصَّرْفَة وماذا يعنون بها، حتى تتضح الصورة ويتجلى معناها لدى القارئ الكريم.

وأما الفصل الثاني:

فقد تعرّض فيه الباحث لعرض القول بالصَّرْفَة ومناقشته- وتفنيده، فبين فيه المصدر الأول لفكرة القول بالصَّرْفَة، ثم عرّج على وفودها ومصدر تلقّيها والترويج لها، ثم صدر ما يراه وزيّله بأقوال العلماء الذين أثبتوا تلقي "النَّظام" لفكرة القول بالصَّرْفَة.

ولقد قدّم الباحث تعريفًا موجزًا عرّف فيه بـ"المعتزلة" ونشأتها وعقيدتها ومنهجها وأبرز فرقها ورؤوسهم، ثم تناول بيان أبرز أقوال القائلين بالصَّرْفَة، سواء كانوا من المعتزلة أو من غيرهم، فبين وجلي أمر أول من قال بالصَّرْفَة من المعتزلة- ألا وهو "النَّظام"-، ثم ذكر من تابعه على هذا القول من أفراخ المعتزلة، ثم بيّن بعد ذلك من قال بالصَّرْفَة من الأشاعرة وغيرهم، ثم أفرد مبحثًا خاصة بالقائلين بالصَّرْفَة من الشيعة الإمامية، ثم ختم هذا المبحث الهام بملخص القول بالصَّرْفَة.

ثم ختم الباحث هذا الفصل برّد شبهة القول بالصَّرْفَة وبيان دلائل بطلانها بالحجج الواضحات الدمغات، مقرونة بالأدلة الشرعية النقلية، ومصحوبة بالبراهين العقلية المرعية، وزيّل ذلك بأقوال العلماء الذين فنّدوها وردّوها بالحجة والبيان وواضح وساطع البرهان، ثم ختم بحثه بأهم النتائج التي توصلت إليها تلك الدراسة المختصرة.

Research Summary

Praise be to Allah' prayer and peace be upon the Messenger of Allah and allies

Thereafter:

This is an essay on "PICKING UP THE FRUITS IN NULLIFYING THE SAYING (of) AVERTION"" and it is a pleasant' brief study' in which the researcher sought within the limits of human ability to defend the Islamic religion' and the Holy Qur'an - the word of the Lord of the worlds' and its clear revelation - that is miraculous with the method' which Allah challenged by Mankind and the Jinn to bring something like it' and they were together helpless.

In it' the researcher dealt with the study of "The expression of averting" which the first expression was said the first rationalist school - Mu'tazila' and those who derived its idea from the Indian philosophy called for by Brahma in the book: "The Veda".

The researcher conducted his research in two chapters: As for the first chapter' in it' the researcher presented an explanation of the concept of Averting in language and idiom in order to clarify and make to the reader the meaning clear.

Then the researcher turned to a statement of the general meaning intended to INVERTION - in general and in detail - according to those who said it' so he included in this clarification of the general purpose of INVERTING from two sides:

On the one hand: the linguistic and idiomatic meaning - and on the other hand: the purpose of those who say INVERTING and what they mean by it' so that the image becomes clear and its meaning becomes clear to the noble reader. With regards to the second chapter:

In it' the researcher was exposed to presenting and discussing the saying in INVERTING and refuting it. In it' he showed the first source of the idea of INVERSION' then he came across its delegations and the source of its reception and promotion. Then he issued what he saw and dissolved it with the sayings of scholars who have proven that the "system" has received the idea of INVERSION.

The researcher gave a brief definition in which he defined the Mu'tazila' its origin' creed' and methodology' its most prominent groups and their heads' then addressed the most prominent sayings of those who say the INVERTING' whether they were from the Mu'tazila or others. Those who followed him on this saying were from among the Mu'tazila chicks' then he clarified after that who said INVERTING from the Ash'ari and others'

then he devoted a study to those who say INVERTING among the Imami Shiites' then he concluded this important study with a summary of the saying of morphology.

Then the researcher concluded this chapter by rejecting the suspicion of the saying in INVERSION and stating the evidence of its invalidity with the clear arguments and stamps' coupled with the legal and transitional evidence' and accompanied by the established rational proofs' and this was removed by the sayings of the scholars who refuted it and responded with the argument and the statement and a clear and bright proof' then he concluded his research with the most important results that the study reached.

خطة البحث

وقد ضمّن الباحث بحثه خطة بحث مكونة من فصلين، وكل فصل مكون من عدة مباحث، ويندرج تحت كل مبحث عدة مطالب، وقد بيّن فيه ما يلي:

أولاً: أهمية موضوع البحث

ثانياً: أهم الدراسات السابقة وأبرزها

ثالثاً: أسباب ودواعي اختيار موضوع البحث

رابعاً: مشكلة البحث وأهدافه

خامساً: منهجية البحث

سادساً: خاتمة البحث، وبيان أهم النتائج التي توصلت لها تلك الدراسة المختصرة.

سابعاً: مجموع الفهارس:

وخطة البحث مكونة من فصلين على النحو التالي:

الفصل الأول

بيان مفهوم الصَّرْفَة

وفيه مبحثان

المبحث الأول: مفهوم الصَّرْفَة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الصَّرْفَة في اللغة

المطلب الثاني: مفهوم الصَّرْفَة في الاصطلاح

المبحث الثاني: بيان المعنى العام المقصود بالصَّرْفَة - إجمالاً وتفصيلاً -

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان معاني الصَّرْفَة إجمالاً

المطلب الثاني: مقاصد للقائلين بالصَّرْفَة تفصيلاً

الفصل الثاني

القول بالصَّرْفَة

(عرض - ومناقشة - وتفنيد)

وفيه ثلاثة مباحث

مصدر القول بالصرّفة المبحث الأول:

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المصدر الأول لفكرة القول بالصرّفة

المطلب الثاني: وفود القول بالصرّفة، ومصدر تلقيها والترويج لها

المطلب الثالث: أقوال العلماء في إثبات تلقي النّظام لفكرة القول بالصرّفة

المبحث الثاني: أبرز أقوال القائلين بالصرّفة من المعتزلة وغيرهم

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: أول من قال بالصرّفة من المعتزلة

المطلب الثاني: القائلون بالصرّفة من المعتزلة غير النّظام

المطلب الثالث: القائلون بالصرّفة من غير المعتزلة، من الأشاعرة وغيرهم.

المطلب الرابع: القائلون بالصرّفة من الشيعة الإمامية

المطلب الخامس: خلاصة القول بالصرّفة

المبحث الثالث: ردُّ شبهة القول بالصرّفة وبيان بطلانها

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الرد على القائلين بالصرّفة وبيان دلائل بطلانها

المطلب الثاني: أقوال العلماء في رد القول بالصرّفة وبيان بطلانها

المطلب الثالث: أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

منهجية البحث

أولاً: أهمية موضوع البحث، وتختصره في النقاط التالية:

- ١- إنما تكمن أهمية هذا البحث في شرف متعلقه، ألا وهو " القرآن الكريم، وذلك لأن شرف العلم من شرف المعلوم.
- ٢- وإنما ترجع أهمية بحث "القول بالصرّفة" لتعلقه بقضية عقدية عند أهل السنة والجماعة، ألا وهي قضية إعجاز القرآن المبنية على قضية وقوع التحدي بالقرآن.
- ٣- وقوع خلاف قديم في نشأة القول بالصرّفة ومصدرها الرئيس، ما بين الفلسفة الهندية عند براهما " والمأخوذة من كتاب "الفيدا"، وما بين "النظام" من المعتزلة.
- ٤- وقوع خلاف واسع في قبول "القول بالصرّفة" ورفضه، مما يحتاج لمثل هذه الدراسة والفصل فيها بالحجج الدامغة والبراهين الساطعة على رفضه ورده وبيان بطلانه.
- ٥- وقوع خلاف وتردد عند القائلين بالصرّفة أنفسهم، فمنهم القائل بأن الصرّفة كانت بسلب قدرة العرب على الإتيان بمثل القرآن، ومنهم القائل بأن الله سلبهم العلوم التي يمكنهم الإتيان بمثلها، ومنهم القائل بأن الله صرفهم عن الإتيان بمثلها وسلب إرادتهم فلم يخطر لهم ببال أن يأتوا بمثلها.

ثانياً: أهم الدراسات السابقة وأبرزها

لقد صنف أهل العلم قديماً وحديثاً في مبحث " القول بالصرّفة "، وهم في ذلك ما بين مؤيد، ومعارض، ومن هذه المصنفات ما أُفرد له بالتصنيف، ومنها ما هو موجود في ثنايا بعض تلك الكتب، وإن كثيراً من المتأخرين من يعزوا لتلك المصنفات التي قال مصنفوها بـ "القول بالصرّفة"، ولاسيما فيما له تعلقه بموضوع الصرّفة ككتب الإعجاز، وما كُتب كذلك في علم البلاغة لتعلقه بنفس الموضوع.

ومن أبرز ما صُنّف في ذلك في حدود بحثنا الضيق ما يلي:

أ- دراسات الرافضة:

- ١- كتاب: "أوائل المقالات" للشيخ المفيد، وهو أبو عبد الله، محمد بن محمد بن النعمان، البغدادي العكبري، رئيس المذهب الشيعي الإمامي في وقته: (ت: ٣٣٨هـ).

٢- كتاب: "الموضح من جهة إعجاز القرآن"، لعلي بن الحسين المعروف بالشريف المرتضى (على بن الحسين بن موسى بن محمد) (ت: ٣٥٥هـ) نقله عنه الطوسي (نصير الدين محمد بن محمد بن الحسن) (ت: ٣٨٥هـ)، وقد صرح بذلك السبحاني في "الإلهيات".

٣- شرح كتاب: "جمل العلم والعمل" للطوسي: نصر الدين محمد بن محمد بن الحسن (ت: ٣٨٥هـ)، وأصل الكتاب للشريف المرتضى، والشرح للطوسي، ولكن المرتضى تراجع عن القول بالصرفة صراحة في كتاب (الاقتصاد).

٤- كتاب: "سر الفصاحة"، لابن سنان الخفاجي (ت: ٤٦٦هـ) عبد الله بن محمد بن سعيد الخفاجي الشاعر الأديب الشيعي في كتابه الشهير، وكتابه يُعد من الكتب المعدودة في البلاغة، وقد ألفه على طريقة الأدباء.

٥- حقيقة القول بالصرفة في الإعجاز القرآني، محمد هادي معرفة (من معاصري الرفض)، وهو محمد هادي بن علي بن الميرزا محمد علي معرفة (١٩٣٠م - كربلاء - ٢٠٠٦م - قم)، مؤسسة النشر الإسلامي، التابعة لجماعة المدرسين بقم، ط ١٤٢٨هـ، ٦هـ.

ب- دراسات عامة لعموم الباحثين المعاصرين

١- الصرفة دلالتها لدى القائلين بها وردود المعارضين لها د. سامي عطا الجيتاوي - منشور عن دنيا الوطن، بتاريخ: ١٧/٥/٢٠٠٨م.

٢- القول بالصرفة في إعجاز القرآن الكريم، إبراهيم بن منصور التركي، بحث منشور على الشبكة بصيغة: (بي دي إف) (د. ت)..

٣- المتهمون بالصرفة (دراسة تحليلية نقدية) محسن الخالدي، قسم أصول الدين، كلية الشريعة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ٢٢/٣/٢٠١٠م.

٤- الصرفة "معانيها والقائلون بها: دراسة استقرائية نقدية"، د. عبد الله بن سالم بن حمد الهنائي، قسم العلوم الإسلامية - كلية التربية - جامعة السلطان قابوس - سلطنة عمان، ٢٠١٩م.

٥- القول بالصرفة في إعجاز القرآن - عرض ونقد - د. عبد الرحمن بن معاضة الشهري، ط ٢، ١٤٣٢هـ، دار ابن الجوزي - الدمام - المملكة العربية السعودية.

٦- الصرفة ونشأتها بين مؤيد ومعارض، محمد فقهاء، كتاب الألوكة: ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م. عدد الأجزاء ١. (د. ت).

ج- مصنفات تضمنت وتناولت مبحث القول بالصَّرْفَة

- ١- المعجزة الكبرى-القرآن- أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ) - دار الفكر العربي بالقاهرة، عدد الأجزاء ١. (د. ت)
- ٢- إعجاز القرآن، مصطفى صادق الرافعي، طبع المقتطف سنة ١٩٢٨م
- ٣- إعجاز القرآن بين المعتزلة والاشاعرة، منير سلطان، الناشر: منشأة المعارف - الإسكندرية، الطبعة: الثالثة / ١٩٨٦ م، سلسلة 'كتب الدراسات القرآنية'. عدد الأجزاء ١.
- ٤- الإعجاز البياني: د. محمد محمد أبو موسى، ط ٢. مكتبة وهبة: ١٤١٨هـ.
- ٥- فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر مع نقد وتعليق، نعيم الحمصي: نسخة بصيغة: (بي دي إف) (د. ت).

ثالثًا: أسباب ودواعي اختيار موضوع البحث

إن التخبط في موضوع "القول بالصَّرْفَة" وردّ القول بأن إعجاز القرآن ليس بإعجاز ذاتي، إنما هو إعجاز خارجي ناشئ عن "الصَّرْفَة"، هو السبب الرئيس في اختيار موضوع البحث ومدارسته ومناقشته.

ويتركز ذلك الاختيار لسببين رئيسين:

السبب الأول: الانتصار لكتاب الله تعالى والذب عن حياضه.

السبب الثاني: معرفة كنه وحقيقة "القول بالصَّرْفَة" ومصدرها وردّها بالحجة والبرهان، وبيان دلائل الكتاب والسنة وكلام أئمة أهل السنة على الإعجاز الذاتي للقرآن.

رابعًا: مشكلة البحث وأهدافه

إن تسرب فكرة "القول بالصرفة" عن طريق الفلسفة الهندية القديمة واستقاء تلك الفكرة من كتاب الفيدا، وتسلسل تلك الفكرة للمدرسة العقلانية الأولى "المعتزلة" ثم نشرها بين المسلمين وحدوث رواج كبير لها فتلقفتها عقول أهل الإعجاب بكل جديد، من هنا نشأ الخلاف بين العلماء قديمًا وحديثًا حول قبول "القول بالصَّرْفَة" أو ردّها، ومن هنا كان لزامًا من عرض تلك الفكرة وبيان نشأتها وأسباب انتشارها ورواجها، وعرض أقول العلماء القائلين بها والرايين لها ومناقشتها وبيان حجج كل فريق، والرد عليها بالأدلة النقلية والعقلية وما يمليه العقل والنظر الصحيح المبني على أصول الشريعة وعموم الأدلة الشرعية، ثم ختم البحث بالقول الصحيح، ألا وهو رد "القول بالصَّرْفَة".

خامسًا: منهجية البحث

١- إن الإحاطة بكل ما دونه القائلون بالصرفة والرايين لها أمر يصعب جمع شمله وقد بعثر في مصنفات شتى، بل هو شبيهه بالمحال، لذا فقد سُلط الضوء هنا على أبرز تلك المصنفات وعلى أشهر أقوال العلماء فيها.

٢- ولقد عرف الباحث الصَّرْفَةَ وبين مصدرها وزيل ذلك بأقوال العلماء قديمًا وحديثًا.

٣- عرض الباحث لأشهر الأقوال الواردة في "الصَّرْفَةَ" وعزاها لقائلها في مصادرها الأصلية - في الأغلب والأعم-، ثم قام بمناقشتها ومدارستها -عرضًا، ونقدًا، وتحليلًا، وترجيحًا. ولذا فإن الباحث قد سلك مناهج عدة في تناول بحثه منها أبينها ما يلي:

أ- المنهج الاستقرائي

وذلك باستقراء ما سطره أئمة البلاغة وما دونه عن إعجاز القرن الكريم، وتتبع أقوال القائلين بـ "القول بالصَّرْفَةَ" في مظانها، ثم عقد مقارنة بين أقوال أئمة أهل السنة النافين لـ "القول بالصَّرْفَةَ"، وبين أقوال المعتزلة ومن سلك سبيلهم من الرافضة، وبعض الأشاعرة ومن نحى نحوهم في الانتصار لـ "القول بالصَّرْفَةَ".

ب- المنهج النقدي

فبعد عرض الباحث لأقوال القائلين بـ "القول بالصَّرْفَةَ"، نقدها وفندها بواضح الأدلة وساطع البراهين.

ج- المنهج التحليلي

فقد قام الباحث بتحليل تلك الأقوال ومناقشتها ورد الأمور إلى نصابها بالردود المقنعة والأجوبة المسكنة.

٤- انتصر الباحث للقول الحق في موضوع البحث ألا وهو رد "القول بالصَّرْفَةَ".

وبطلانه

سادسًا: خاتمة البحث، وبيان أهم النتائج التي توصلت لها تلك الدراسة المختصرة.

سابعًا: مجموع الفهارس: ولأن البحث مختصر، فقد ختم الباحث بحثه بمجموع فهارس مختصر - كذلك - وقد احتوى على ما يلي:

أ- فهرس أهم المراجع والمصادر

ب- فهرس الموضوعات

تمهيد في وقفة مع مناقشة القول بالصَّرْفَة

نقول: إن البشر عجزوا ما استطاعوا أن يعارضوا هذا القرآن، ولكن هذا العجز ليس كما يقول المعتزلة إن الله صرفهم عن معارضته، وهذه عقيدة مشهورة قال بها المعتزلة يقال لها الصَّرْفَة، يقولون إن الله -عز وجل- صرف الناس عن معارضة القرآن فعجزوا، صرف هممهم ودواعيهم فما استطاعوا، لأنه سبحانه صرفهم فزعموا أن الإعجاز إنما هو أن الله صرفهم لا أن القرآن معجز بنفسه.

ولهذا قد اشتغل علماء السنة منذ أن ظهرت هذه البدعة وهذه العقيدة الفاسدة الباطلة بالرد عليها، لأن عقيدة الصَّرْفَة عقيدة باطلة ونحن نقول كما قال أهل السنة القرآن لفظاً ومعنى هو دليل الإعجاز وهو دليل التحدي.

فالقول بهذه العقيدة عقيدة الصَّرْفَة يعني أن القرآن في ذاته ليس فيه فضيلة في الامتياز ليس فيه فضيلة في التفوق، ولا شك أن هذا باطل بنصوص القرآن، لأن الله -عز وجل- أخبر في نصوص كثيرة من القرآن أنه تحدى العرب أن يأتوا بمثله ثم بإجماع الأمة على أن الإعجاز ذاتي في القرآن غير منك عنه بإجماعهم، لا كما تقول المعتزلة أن الإعجاز إنما هو في الصَّرْفَة، أي أن الله صرفهم فعجزوا، لا أن القرآن معجز بنفسه، إنما جعلوا الإعجاز في قدرة الله، فرجعت إلى صفة القدرة، التي هي أن الله بقدرته صرفهم فعجزوا عن أن يأتوا بمثله، وهذا من أبطل الباطل ترده النصوص الكثيرة. (٢)

ولقد سلك العلماء في بيان وجوه إعجاز القرآن مسالك عديدة، واتجهوا في البحث عنها وجهات مختلفة، وقرر جمهورهم أن القرآن الكريم معجز بذاته، لا لسبب خارج عنه، بينما قرر القائلون بالصَّرْفَة أن الإعجاز أمر خارج عن ذات القرآن، فكان هذا البحث لبيان مضمون القول بالصَّرْفَة، ودلالاتها، وحجج القائلين بها وردود المعارضين لها. (٣)

ولا شك في أن القول بالصَّرْفَة قول باطلٌ وفاسدٌ ويرد هذا القول الفاسد التحدي الوارد في غير ما موضع من كتاب الله ولا سيما قوله تعالى: (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) ((الإسراء: ٨٨)).

(٢) - يُنظر: موقع ميراث الأنبياء، عرفات بن حسن المحمدي، بتاريخ: ٢٠١٦/٩/١٥ م. بتصرف.

(٣) - إعجاز القرآن الكريم بقلم: سامي عطا الجيتاوي- عن موقع دنيا الوطن، بتاريخ: ٢٠٠٦/٦/١٥ م.

يقول الطبري:

" يَفُؤُ جَلَّ تَنَاؤُهُ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلَّذِينَ قَالُوا لَكَ: إِنَّا نَأْتِي بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ: لَعِنَ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ، لَا يَأْتُونَ أَبَدًا بِمِثْلِهِ، وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَوْنًا وَظَهْرًا. وَذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَبَبِ قَوْمٍ مِنَ الْيَهُودِ جَادَلُوهُ فِي الْقُرْآنِ، وَسَأَلُوهُ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ غَيْرِهِ شَاهِدَةً لَهُ عَلَى نُبُوتِهِ، لِأَنَّ مِثْلَ هَذَا الْقُرْآنِ بِهِمْ قُدْرَةٌ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِهِ".^(٤)

ولاشك في دلالة الآية على أن عجزهم قائم مع بقاء قدرتهم، ولو سلبوا تلك القدرة لم يبق هناك أي فائدة لاجتماعهم.

(٤) - تفسير الطبري: (٧٥/١٥)

الفصل الأول

بيان مفهوم الصَّرْفَة

وفيه مبحثان

وقبل مناقشة القول بالصَّرْفَة لابد من بيان وإيضاح مسائل ومباحث هامة من أبينها ما يلي:

المبحث الأول: مفهوم الصَّرْفَة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الصَّرْفَة في اللغة

فمن المناسب بمكان بيان معنى ومفهوم الصَّرْفَة في اللغة ودلالاتها.

الصَّرْفَة لغة: على وزن فَعَلَة، بفتح الفاء واللام وسكون العين - رد الشيء عن وجهه، يقال: صَرَفَهُ يَصْرِفُهُ، صَرَفًا، فانصرف، وصارف نفسه عن الشيء: صرفها عنه، قال تعالى: (وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ) (التوبة: ١٢٧)

فقوله: - (ثم انصرفوا...) أي: رجعوا عن المكان الذي استمعوا منه، وقيل: - انصرفوا عن العمل بشيء مما سمعوا، وقوله تعالى: - (صرف الله قلوبهم...) أي: - أضلهم الله مجازاة على فعلهم، وصرفت الرجل عني فانصرف).^(٥)

أي: صرف الله عن الخير والتوفيق والإيمان بالله ورسوله قلوب هؤلاء المنافقين.^(٦)

ويأتي الصرف بمعاني أخرى كالنوبة والتطوع والقيمة والعدل والمثل والميل والنافلة^(٧).
ف"أصل الصرف من الفعل صرف، والصرف لغة هو رد الشيء عن وجهه".^(٨)
ويقول الخليل بن أحمد الفراهيدي: "الصَّرْفُ فَضْلُ الدَّرْهِمِ فِي الْقِيَمَةِ وَجُودَةُ الْفِضَّةِ وَبَيْعُ الذَّهَبِ بِالْفِضَّةِ وَمِنْهُ الصَّيْرُ فِي تَصْرِيفِهِ أَحَدُهُمَا بِالْآخَرِ".^(٩)

(٥) - لسان العرب - مادة صرف - لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري (ت: ٧١١ هـ

(٦) - دار صادر - بيروت ١٩٥٥ م.

(٧) - يُنظر: تفسير الطبري: (٩٤/١٢).

(٨) - لسان العرب - مادة صرف مرجع سابق: مادة (صرف).

(٩) - المرجع السابق: مادة (صرف).

وقال الراغب الأصفهاني:

" الصَّرْفُ: ردّ الشيء من حالة إلى حالة، أو إبداله بغيره، يقال: صَرَفْتُهُ فَأَنْصَرَفَ. قال تعالى: (ثُمَّ صَرَفْنَاكُمْ عَنْهُمْ) [آل عمران: ١٥٢]، وقال تعالى: (أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ) (هود: ٨)، وقوله: (ثُمَّ أَنْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) (التوبة: ١٢٧)، فيجوز أن يكون دعاء عليهم، وأن يكون ذلك إشارة إلى ما فعله بهم، وقوله تعالى: (فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا) (الفرقان: ١٩)، أي: لا يقدر أن يصرفوا عن أنفسهم العذاب، أو أن يصرفوا أنفسهم عن النار. وقيل: أن يصرفوا الأمر من حالة إلى حالة في التغيير، ومنه قول العرب: (لا يُقبل منه صَرْفٌ ولا عدل)، وقوله: (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفْرًا مِنَ الْجِنِّ) [الأحقاف: ٢٩]، أي: أقبلنا بهم إليك وإلى الاستماع منك، والتَّصْرِيفُ كالتَّصْرِيفِ إِلَّا فِي التَّكْثِيرِ، وأكثر ما يقال في صرف الشيء من حالة إلى حالة، ومن أمر إلى أمر. وَتَصْرِيفُ الرِّيحِ هو صرفها من حال إلى حال. (١٠).

ويقول ابن فارس في معجم مقاييس اللغة:

" صرف الصاد والراء والفاء معظم بابه يدل على رجوع الشيء، من ذلك صرفت القوم صرفًا وانصرفوا اذا رجعتهم فرجعوا". (١١)

وقيل إن الصَّرْفَةَ:

"هي كوكب نير، وسمي هذا الكوكب بالصفرة لانصراف الحر عند طلوعه مع الفجر من المشرق وانصراف البرد إذا غرب مع الشمس، ويقال الصفرة ناب الدهر لأنها تفتت عن فصل الزمانين". (١٢)

(٩) - الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، دار ومكتبة الهلال، (بدون ذكر الطبعة وسنة النشر)، ت: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، (ج ٧ / ص ١٠٩).

(١٠) - الأصفهاني، الحسين بن محمد المعروف بالراغب (ت: ٥٠٢هـ)، المفردات، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، (ط: الأولى - ١٤١٢ هـ)، ت: صفوان عدنان الداودي، (ج ١ / ص ٤٨٢).

(١١) - معجم مقاييس اللغة: (٣ / ٣٤٢).

(١٢) - القلقشندي، أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، نشر: دار الفكر - دمشق، (الطبعة الأولى، ١٩٨٧م) تحقيق: د. يوسف علي طويل (ج ٢، ص ١٧٧).

قال ابن قتيبة الدينوري: (ت: ٢٧٦هـ)

"وسميت الصَّرْفَةُ لانصراف البرد و إقبال الحر (١٣) وقد جعلها العرب في أسجاعهم، كقولهم: إذا طلعت الصَّرْفَةُ بكرت الحُرْفَةُ وكثرت الطُرْفَةُ وهانت للضيف الكُلْفَةُ (١٤) وكقولهم أيضًا إذا طَلَعَت الصَّرْفَةُ احتَالَ كلُّ ذي حِرْفَةٍ وقيل احتَالَ كلُّ ذي حُرْفَةٍ وجَفَرَ كلُّ ذي نُظْفَةٍ وامْتَبَيَرَ عن المياه زُلْفَةً (١٥).

وَالْعَرَبُ تَقُولُ:

الصَّرْفَةُ نَابُ الدَّهْرِ لَأَنَّهَا تَقْتَرُّ عَنِ الْبَرْدِ أَوْ عَنِ الْحَرِّ فِي الْحَالَتَيْنِ؛ قَالَ ابْنُ كُنَّاسَةَ: سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِانصراف الْبَرْدِ وَإِقْبَالِ الْحَرِّ، وَقَالَ ابْنُ بَرَسِيٍّ: صَوَابُهُ أَنْ يُقَالَ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِانصراف الْحَرِّ وَإِقْبَالِ الْبَرْدِ. وَالصَّرْفَةُ: حِرْزَةٌ مِنَ الْحِرْزِ الَّتِي تُذَكَّرُ فِي الْأَخْذِ (١٦)، قَالَ ابْنُ سَيِّدَةَ (١٧): يُسْتَعْتَفُ بِهَا الرِّجَالُ يُصْرَفُونَ بِهَا عَنْ مَذَاهِبِهِمْ وَوُجُوهِهِمْ. والخلاصة مما جاء أنفًا من معاني يعود إلى معنى التبدل والتحول وانتقال شيء إلى شيء، أو من حال إلى حال. (١٨).

المطلب الثاني: مفهوم الصَّرْفَةُ في الاصطلاح

وبعد بيان مفهوم الصرفة في اللغة وبيان مدلولاتها، فمن المناسب كذلك بيان معناها في الاصطلاح ليكتمل معناها ويتضح فحواها ومبناها.

وَالصَّرْفَةُ فِي الْاصطلاح تعني:-

١- أن الله صرف همم العرب عن معارضة القرآن، وسلب عقولهم عنها، وكانت في مقدورهم، لكن عاقبهم عنها أمر خارجي، فصار معجزة كسائر المعجزات، ولو لم يصرفهم عن ذلك لجاؤوا بمثله. (١٩)

(١٣) - ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري، أدب الكتاب، (ج ١، ص ٢٠).

(١٤) - السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، (الطبعة الأولى، ١٩٩٨) تحقيق: فؤاد علي منصور، (ج ٢، ص ٤٤٦).

(١٥) - ابن سيده، علي بن إسماعيل، المخصص، دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٤١٧هـ ١٩٩٦م، الطبعة الأولى، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، (ج ٢، ص ٣٦٩).

(١٦) - ابن منظور، لسان العرب، (ج ٩، ص ١٨٩).

(١٧) - ابن سيده، المخصص، (ج ١، ص ٣٧٥).

(١٨) - يُنظر: الصرفة ونشأتها بين مؤيد ومعارض لمحمد فقهاء، بحث عن موقع الألوكة: (ص: ١٠).

٢- وقيل تعني: صرف الهمم عن المعارضة^(٢٠).

٣- وقيل تعني: صرف الله همم العرب عن معارضة القرآن^(٢١).

وهي كلها بمعنى واحد ألا وهو أن الصَّرْفَةَ تعني:

أن معارضة العرب للقرآن كانت ممكنة وهي بمقدورهم، غير إن الله تعالى صرف همم عنها بقدرته. ولا شك أن القول بالصَّرْفَةَ كلام فاسد وباطل كما أسلفنا، ويلزم منه أن القرآن الكريم ليس بمعجز في حد ذاته، وسيأتي معنا بيان ذلك في محل بحثه بشيء من زيادة التفصيل والإيضاح والبيان.

(١٩)- البرهان في علوم القرآن - لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت: ٧٩٤) تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم - الطبعة الأولى - دار إحياء الكتب العربية، مصر ٥١٣٧٦-١٩٥٧ م، ج ٢/ص ٩٣...، ويُنظر: الاتقان في علوم القرآن - لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ للهجرة) تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم - دار التراث بالقاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥ م... ج ٢/ص ١١٨.

(٢٠) - الرماني، علي بن عيسى، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله ود. محمد زغلول سلام، دار المعارف، ط ٤، القاهرة (ص ١١٠).

(٢١) - الخطابي، حمد بن محمد أبو سليمان، بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله ود. محمد زغلول سلام، دار المعارف، ط ٤، القاهرة (ص ٢٣).

المبحث الثاني: بيان المعنى العام المقصود بالصَّرْفَة - إجمالاً وتفصيلاً -

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان معاني الصَّرْفَة إجمالاً

والصَّرْفَة لها عند أصحابها معنيان:

المعنى الأول: أنّ الله صرف العرب عن معارضة القرآن مع قدرتهم عليها فكانَ هذا الصرفُ خارقاً للعادة.

المعنى الثاني: أن الله سلبهم العلوم التي يحتاج إليها في المعارضة ليجيئوا بمثل القرآن". (٢٢)

وفي نحو ذلك يقول ابن سنان الخفاجي الشيعي: (ت: ٤٦٦هـ)

" إذا عدنا إلى التحقيق وجدنا إعجاز القرآن: صرف العرب عن معارضته، بأن

سلبوا العلوم التي بها كانوا يتمكنون من المعارضة، وقت مرامهم ذلك". (٢٣)

وبشيء من الإيضاح والبيان نبين المقصود بالصَّرْفَة والتي تدور مادتها حول إثبات التحدي بالقرآن بالحيلولة بينه وبين العرب في أن يأتوا بمثله.

وفي بيان معنى هذا الوجه من الصَّرْفَة يقول الرّماني:

"أما الصَّرْفَة فهي صرف الهمم عن المعارضة، وعلى ذلك كان يعتمد بعض أهل العلم في أنّ القرآن معجز

من جهة صرف الهمم عن المعارضة، وذلك خارج عن العادة، كخروج سائر المعجزات التي دلّت على

النبوة، وهذا عندنا أحد وجوه الإعجاز التي يظهر منها للعقول...". (٢٤)

المطلب الثاني: مقاصد للقائلين بالصَّرْفَة تفصيلاً

وقد اختلف القائلون بالصَّرْفَة في بيان حقيقة ما يقصدونه بها، فقالوا: إن الله سبحانه لأجل اثبات

التحدي، حال بين فصحاء العرب وبلغائهم، وبين الإتيان بمثل القرآن بأحد الأمور الثلاثة التالية:

المقصد الأول: صرف دواعيهم وهممهم عن القيام بالمعارضة، فكلما هموا بها وجدوا في أنفسهم صارفاً

ودافعاً يصرفهم عن منازلتهم في حلبة المعارضة، ولم يكن ذلك لعدم قدرتهم عن الانصداع لهذا الأمر، بل

(٢٢) - مباحث في علوم القرآن: مناع القطان (ت: ١٤٢٠هـ)، " ص: ٢٦١)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع

الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م عدد الأجزاء: ١.

(٢٣) - سر الفصاحة: (ص: ١٠٠).

(٢٤) - النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: (ص: ١١٠).

إن المقتضى فيهم كان تاماً، غير أن الدواعي والهمم صارت مصروفة عن الالتفات لهذا الأمر، بصرف الله قلوبهم عنه، ولولا ذلك لآتوا بمثله.

المقصد الثاني: إن الله سبحانه سلبهم العلوم التي كانت العرب مالكة لها ومتجهزة بها، وكانت كافية للإتيان بما يشاكل القرآن، ولولا هذا السلب لآتوا بمثله..

ومن تبنى هذا القول الشريف المرتضى الشيعي الرافضي (ت: ٤٦٣هـ) وهو المتهم بوضع كتاب (نحج البلاغة) المنسوب لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حيث يقول:

"الله تعالى سلبهم العلوم التي يُحتاج إليها في مُعارضة القرآن والإتيان بمثله".^(٢٥)

وقد تابع الشريف المرتضى على هذا القول ابنُ سنان الحفاجي: (ت: ٤٦٦هـ) وقد مر معنا آنفاً قوله في الصّرفة.

المقصد الثالث: إنهم كانوا قادرين على المعارضة، ومجهزين بالعلوم اللازمة لها، ولكن الله منعهم بالإلجاء على جهة القسر من المعارضة، مع كونهم قادرين، فتفقهروا في حلبة المعارضة، لغلبة القوة الإلهية على قواهم.^(٢٦)

وسنبين أن الصّرفة بكل صورها غير مقبولة، لأنها تسلب الاعجاز الذاتي للقرآن، وأنها وهمٌ ذهب إليه خيال القائلين بها دون سند أو دليل.

وفي نحو ما سبق يجمل القرطبي القول فيقول رحمه الله:

" إن بعض أصحاب الصّرفة زعموا أن العرب صرفوا عن القدرة على القرآن ولو تعرضوا له لعجزوا عنه، وأن البعض الآخر زعموا أن العرب صرفوا عن التعرض للقرآن مع كونه في مقدورهم، ولو تعرضوا له لجاز أن يقدروا عليه، بمعنى أنهم لم يأتوا بمثله سابقاً، غير أنه لا يخرج عن حدود قدرتهم لولا أنه حيل بينهم وبين ممارسة ذلك الاقتدار".^(٢٧)

(٢٥) - المعجزة الكبرى القرآن : ص ٧٩.

(٢٦) - الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز - ليحيى بن حمزة الحسيني اليمني الطالبي الملقب بالمؤيد بالله (المتوفى: ٧٤٥هـ) - طبع في مصر في ثلاثة أجزاء ، طبعة المتكطف عام ١٣٣٣ للهجرة. ج ٣/ ص ٢٩١. ويُنظر: إعجاز القرآن - للأستاذ علي العماري - سلسلة الثقافة الإسلامية - عدد ٤٤ ، حزيران ١٩٦٣ م ، القاهرة. وانظر البيان في إعجاز القرآن - للدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي - دار عمار - عمان - ص ٨٢-٨٣.

(٢٧) - الجامع لأحكام القرآن: (٧٦/١).

الفصل الثاني القول بالصَّرْفَة

(عرض - ومناقشة - وتفنيد)

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: مصدر القول بالصَّرْفَة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المصدر الأول لفكرة القول بالصَّرْفَة

لقد أجمعت الأمة سلفًا وخلقًا على أن القرآن معجز بذاته، وأن إعجازه بذاته لا بسبب خارج عنه، وقد بذلوا مهجهم في بيان أوجه إعجازه.

ومن ذهب إلى القول بالصَّرْفَة أراد بذلك أن "إعجاز القرآن أمرًا خارجًا عنه".

ويعزى القول بالصَّرْفَة عند الباحثين إلى أنه من التيارات التي وفدت علينا من الخارج... وأن بعض فلاسفة المسلمين، وقفوا على أقوال البراهمة في كتابهم - الفيديا - (٢٨)، (٢٩) وهو يشتمل على مجموعة من الأشعار والآداب ليس في كلام الناس ما يماثلها - في زعمهم -، ويقول جمهور علمائهم :- إن البشر يعجزون عن أن يأتوا بمثله...، لأن - براهما - (٣٠) صرفهم عن أن يأتوا بمثلها.....

وقد لاقى هذا الرأي انتقاضًا من أحد الباحثين. محتجًا بأن البراهمة لم يقولوا مثل أشعار الفيديا احترامًا لها، وليس بمقتضى التكوين، ثم إن كلام البراهمة في الفيديا كان محل سخرية العقل الإسلامي، فلا مستنصر لهذا الرأي. (٣١)

وكل هذا لا ينكر وجود التأثير، فالتأثر برأي لا يوجب نقله كاملاً، كما أن السخرية بالبراهما قد تؤدي إلى تنزيل الصرف على القرآن، وإن كان من وجه مختلف لأنه الكتاب المعجز حقًا. (٣٢)

(٢٨)- المعجزة الكبرى القرآن لمحمد أبو زهرة ص ٧٦.

(٢٩) - والفيديا: كتاب يشمل أربعة كتب مقدسة للهندوس، وقد كتب باللغة السنسكريتية - يُنظر كتاب : مشكلة الألوهية د. محمد غلاب - ص ٩٧. ويُنظر: موسوعة المورد : للعلبيكي - ج ١٠ / ص ٨٢.

(٣٠) - براهما: من آلهة الهندوس، وهو عندهم مرادف للمطلق الأعلى أو (الآتمان) - يُنظر: المرجع السابق ص ٩٨

(٣١) - يُنظر: الإعجاز البياني : د. محمد أبو موسى ص ٣٥٨. ط ٢. مكتبة وهبة: ١٤١٨ هـ.

(٣٢) - عن مدونة: نورة الشريف: بتاريخ: ١٣/٦/٢٠٠٨ م.

وفي نحو ذلك يقول أبو الريحان البيروني (ت: ٤٣٠هـ) في كتابه - ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة - ما نصه:

" إن خاصتهم يقولون إن في مقدورهم أن يأتوا بأمثالها، ولكنهم ممنوعون عن ذلك احترامًا لها، ولم يبين - البيروني وجه المنع، أهو منع تكليفي يسبقه الإيمان بهذه الكتب، وتكون دلائل وجوب الإيمان من نواح أخرى..؟ أم هو منع تكويني.. بمعنى: أن -براهما- صرفهم بمقتضى التكوين عن أن يأتوا بمثلها...؟ وهذا الأخير هو الظاهر، لأنه هو الذي يتفق مع قول جمهور علمائهم، وما اشتبهوا به من أن القول بالصرفة نبع في واديههم... "

المطلب الثاني: وفود القول بالصرفة، ومصدر تلقيها والترويج لها

ولقد وفدت إلينا هذه الفكرة عندما ترجمت الفلسفة الهندية في عهد - أبي جعفر المنصور (وهو الخليفة الثاني من خلفاء بني العباس ت: ١٥٦ هـ)، فتلقف الذين يجبون كل وافد من الأفكار، ويركنون إلى الاستغراب في أقوالهم، هذه الفكرة الغريبة الوافدة، واعتنقوا هذا القول وطبقوه على القرآن، وإن كان لا ينطبق، فقال قائلهم: إن العرب اذ عجزوا عن أن يأتوا بمثل القرآن، ما كان عجزهم لأمر ذاتي من ألفاظه، ومعانيه، ونسجه ونظمه، بل كان لأن الله تعالى صرفهم عن أن يأتوا بمثله... " (٣٣)

فلا غرابة في انتقال قول - البراهمة - في كتابهم المقدس - الفيديا - إلى بعض المسلمين، عن طريق الذين يتلقفون كل وافد من الأفكار، وهي ليست أول وآخر فكرة انتقلت من الفكر البراهمي إلينا، يعرف ذلك كل من وقف على حقيقة ذلك الفكر.

إن رواج فكرة - الصرفة - يؤدي الى أن القرآن الكريم ليس في درجة من الفصاحة والبلاغة تمنع محاكاته، وتعجز القدر البشرية عن أن تأتي بمثله، فالإعجاز القرآني عند القائلين - بالصرفة - ليس من صفات القرآن الذاتية، وبالتالي ما دامت بلاغة القرآن لا تزيد على بلاغة سائر الناس، فمؤدى كلامهم: أن يكون القرآن من جنس... كلام البشر (٣٤)

وحول كيفية انتقال القول بالصرفة إلى رحاب المسلمين يوضح ويجلي ذلك الرافعي حيث يقول رحمه الله: (٣٥)

(٣٣) يُنظر: المعجزة الكبرى - القرآن : لمحمد أبي زهرة - ص ٦٩-٧١ ، طبع دار الفكر العربي بالقاهرة - (د-ت).

(٣٤) - إعجاز القرآن الكريم بقلم: سامي عطا الجيتاوي- عن موقع دنيا الوطن، بتاريخ: ٢٠٠٦/٦/١٥. بتصرف.

"لما نَجَمَت آراء المعتزلة بعد أن أقبل جماعة من شياطينها على دراسة كتب الفلسفة مما وقع إليهم عن اليونان وغيرهم نبغت لهم شؤون أخرى من الكلام، فمزجوا بين تلك الفلسفة على كونها نظرًا صرفًا، وبين الدين على كونه يقينًا محضًا... فذهب شيطان المتكلمين أبو إسحاق إبراهيم النَّظام^(٣٦) إلى أن الإعجاز كان بالصَّرْفَةِ، وهي أن الله صرف العرب عن معارضة القرآن مع قدرتهم عليها فكان هذا الصرف خارقًا للمادة^(٣٧).

وقد تكلم عدد من الباحثين حول قضية نشأة القول بالصرفة وذكروا أقوالاً مفادها أنه لا علاقة بالبراهمة بهذا القول، ولا يوجد أحد من القدامى أشار أو نبه على ذلك الأمر.

ومما ذكر في ذلك قول أحد الباحثين:

"....ويبدو الرأي الثاني - أي أن هذا القول من بيئة العرب قولًا خالصًا لا من غيرهم - في نظري هو الأقرب للصواب، نظرًا لعدم ورود أي إشارة من العلماء القدامى الذين تحدّثوا عن هذه القضية تشير لا من قريب ولا من بعيد إلى كون الفكرة مستقاة من البراهمة أو من غيرهم".^(٣٨)

(٣٥) - مصطفى صادق الرافعي (١٢٩٨ - ١٣٥٦ هـ = ١٨٨١ - ١٩٣٧ م)، مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي: عالم بالأدب، شاعر، من كبار الكتاب. أصله من طرابلس الشام، ومولده في بهتيم (بمنزل والد أمه) ووفاته في طنطا (بمصر) أصيب بصمم فكان يكتب له ما يراد مخاطبته به. شعره نقي الديباجة، على جفاف في أكثره. ونثره من الطراز الأول. له عدد من الدواوين الشعرية والأدبية، وغيرها من المصنفات. يُنظر: المنتخب من أدب العرب ١: ٥٥ ومحمود بسيوني، في مجلة الرابطة العربية ١٨ ربيع الأول ١٣٥٧ والمقتطف ٧٣: ٣٥٢ وتراجم علماء طرابلس ٢١١ في آخر ترجمة عمه عبد الحميد بن سعيد الرافعي ومعجم المطبوعات ٩٢٦ والفهرس الخاص - خ وتعليقات عبيد.

مع تصرف واختصار يسير من الباحث.

(٣٦) - إبراهيم بن سيار بن هانئ البصري أبو إسحاق النَّظام، من أئمة المعتزلة، ذكروا أن له كتبًا كثيرة في الفلسفة والاعتزال، وقال عنه الجاحظ: في كل ألف سنة رجل لا نظير له فإن كان ذلك صحيحًا فأبي إسحاق من أولئك. (ت: ٢٣١هـ). الأعلام: (٤٣/١)، فوات الوفيات: (٢٣/١)، وقيل: (ت: ٢٢٤هـ).

(٣٧) - الرافعي، مصطفى صادق بن عبد الرزاق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثامنة - ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م، (ص ١٠١).

(٣٨) - التركي، إبراهيم بن منصور، القول بالصرفة في إعجاز القرآن الكريم، بحث منشور على الشبكة بصيغة: بي دي إف، (ص: ٧).

المطلب الثالث: أقوال العلماء في إثبات تلقي النظام لفكرة القول بالصرفة

ويبدو أن أصحاب هذا الرأي لم يقفوا على ما ذكره بعض المتقدمين، ونسوق بعض أقوالهم ليتبين ويتضح بالبرهان الساطع منشأ القول بالصرفة ومصدر تلقيه الأول كان من البراهمة، وأن أصحاب هذا الرأي قد أصابوا الحق فيه ومن هذه الأقوال

١- قول أبي منصور البغدادي التميمي (ت: ١٠٣٧هـ) حيث يقول رحمه الله عن النظام: "وأعجب - أي النظام - بقول البراهمة بإبطال النبوات ولم يجسر على إظهار هذا القول خوفاً من السيف فأنكر إعجاز القرآن في نظمه وأنكر ما روى في معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم". (٣٩).

٢- قول أبي المظفر الإسفراييني (٤٠) حيث يقول رحمه الله عن النظام:

"كَانَ يَصْحَبُ مَلْحَدَةَ الْفَلَّاسِفَةِ (٤١) وَقَالَ عَنْهُ أَيْضًا: وَمِنْ فِضَائِحِهِ - النَّظَامُ - قَوْلُهُ فِي الْقُرْآنِ أَنَّهُ لَا مَعْجَزَةَ فِي نَظْمِهِ وَكَانَ يُنْكِرُ سَائِرَ الْمَعْجَزَاتِ مِثْلَ انشِقَاقِ الْقَمَرِ وَأَنَّ كَانَ قَدْ نَطَقَ بِهِ الْقُرْآنُ (٤٢) فِي قَوْلِهِ { أَفْتَرَبْتَ السَّاعَةَ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرَ } (القمر: ١) وَكَذَلِكَ كَانَ يُنْكِرُ تَسْيِيحَ الْحِصَى فِي يَدِهِ وَنُبُوعَ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ وَكَانَ فِي الْبَاطِنِ يَمِيلُ إِلَى مَذْهَبِ الْبِرَاهِمَةِ الَّذِينَ يُنْكِرُونَ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ فَتَكَلَّمَ بِهَذَيْنِ الْمَذْهَبِينَ الَّذِينَ يَبْطُلُ أَحَدُهُمَا حَدِثَ الْعَالَمِ وَالْآخَرُ يَبْطُلُ ثُبُوتَ التُّبُوءَةِ وَكَانَ لَا يَقْدِرُ عَلَى إِظْهَارِ مَا كَانَ يَضْمُرُهُ مِنَ الْإِلْحَادِ (٤٣).

٣- قول عضد الدين الإيجي (٤٤) حيث يقول رحمه الله عن النظام:

(٣٩) - البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، دار الآفاق الجديدة - بيروت الطبعة الثانية، ١٩٧٧،

(٤٠) - شاهفوز أبو المظفر طاهر بن محمد الإسفراييني، العلامة، المفتي، أبو المظفر طاهر بن محمد الإسفراييني، ثم الطوسي، الشافعي، صاحب (التفسير الكبير).

كَانَ أَحَدَ الْأَعْلَامِ. حَدَّثَ عَنِ: ابْنِ حَمِشٍ، وَأَصْحَابِ الْأَصَمِّ. رَوَى عَنْهُ: زَاهِرُ الشَّحَامِيِّ، وَعَبْدُ

صَاهِرُ الْأُسْتَاذِ أَبِي مَنْصُورِ الْبَغْدَادِيِّ. تُوفِّيَ: بِطُوسَ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ. سِيرَ أَعْلَامُ النَّبَلَاءِ (١٨/٤٠١).

(٤١) - الإسفراييني، طاهر بن محمد أبو المظفر، ت ٤٧١ هـ، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، المحقق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، (ص ٧١).

(٤٢) - عبارة "نطق به القرآن" وما في نحوها لا تليق بالقرآن أبداً، لأن الذي ينطق ويتكلم هو المخلوق، والقرآن الذي هو كلام الله "منزل غير مخلوق". الباحث.

(٤٣) - التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، ص ٧٤

(٤٤) - عضد الدين الإيجي: (.....-٧٦٥هـ-.....-١٣٥٥م)

"... النَّظْم وهو من شياطين القدرية طالع كتب الفلاسفة وخلط كلامهم بكلام المعتزلة^(٤٥) وتابع عنه وعن أتباعه بتأثرهم في الفلاسفة وأنه مال في بعض المسائل إلى قول الطبيعيين، إلى أن قال: وقالوا نظم القرآن ليس بمعجز إنما المعجز إخباره بالغيب من الأمور السالفة والآتية، وصرف الله العرب عن الاهتمام بمعارضته حتى لو خلاهم لأمكنهم الإتيان بمثله بل بأفصح منه^(٤٦).
 "وبعد هذه النقول يتبين لنا أصل موضوع الصَّرْفَة، ومن ثم يتبين لنا كذلك أول من قال بها ممن ينتسب للمسلمين وروجها، فمصدرها البراهمة وأخذها النَّظْم، والقدماء نسبوها له بشكل مستفيض، وعلى زعم أن النَّظْم لم يقل بهذا لم يرد ولو نص واحد ينسب للنَّظْم لا له ولا لتلامذته ولا لمخالفه يقول بعكس ما نسب إليه من القول بالصَّرْفَة، فلو وجد لسطر كما سطر أقواله الأخرى، وكما ينقل عن الكثير من الأئمة أقوالهم، ولو كانت متعددة حتى ولو في المسألة الواحدة، فهناك الكثير من آراء ومسائل لعلماء نقلت إلينا آرائهم في المسألة الواحدة ربما أكثر من خمسة آراء، فإذا لم يوجد يبقى الرأي المنسوب إليه منصوب على قدميه، حتى يأتي ما يخالفه أو يناقضه، أو ما يرده، وإلى ذلك الوقت سيبقى ما نسب إليه منسوب".^(٤٧)

المبحث الثاني: أبرز أقوال القائلين بالصرفه من المعتزلة وغيرهم

وفيه خمسة مطالب:

وبين يدي هذا المبحث الهام جدير بنا أن نعرف بالمعتزلة ومنهجهم في خطوات مختصرة جداً على النحو التالي:

أولاً: التعريف بالمعتزلة

المعتزلة فرقة إسلامية نشأت في أواخر العصر الأموي وازدهرت في العصر العباسي، وقد اعتمدت على العقل المجرد في فهم العقيدة الإسلامية لتأثرها ببعض الفلسفات المستوردة مما أدى إلى انحرافها

عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو الفضل، عَضُدُ الدين الإيجي: عالم بالأصول والمعاني والعربية. من أهل إيج (بفارس) ولي القضاء، وأنجب تلاميذ عظاماً. وجرت له محنة مع صاحب كرمان، فحبسه بالقلعة، فمات مسجوناً.

يُنظر: بغية الوعاة ٢٩٦، ومفتاح السعادة ١: ١٦٩، والذرة الكامنة ٢: ٢٢٢ وطبقات السبكي ٦: ٤، والكتب خاتمة ٤: ١٤٥، ثم ٧: ١٦٠، ومعجم المطبوعات ١٣٣١

(٤٥) - الإيجي، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد، مواقف، دار الجليل - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، (ج ٣، ص ٦٦١).

(٤٦) - السابق، ص ٦٦٣

(٤٧) - يُنظر: الصرفه ونشأتها بين مؤيد ومعارض لمحمد فقهاء، بحث عن موقع الألوكة: (ص: ٢٠).

عن عقيدة أهل السنة والجماعة. وقد أطلق عليها أسماء مختلفة منها: المعتزلة والقدرية والعدلية وأهل العدل والتوحيد والمقتصد والوعيدية. (٤٨)

ثانياً: منهجها

"وهي فرقة عقلانية كلامية فلسفية، تتكون من طوائف من أهل الكلام، الذين خلطوا بين الشرعيات والفلسفة والعقليات في كثير من مسائل العقيدة، وقد خرجت المعتزلة عن السنة والجماعة في مصادر التلقي ومناهج الاستدلال ومنهج تقرير العقيدة وفي أصول الاعتقاد". (٤٩)

ثالثاً: نشأتها

الواقع أن نشأة الاعتزال كانت ثمرة تطور تاريخي لمبادئ فكرية وعقدية وليدة النظر العقلي المجرد في النصوص الدينية، وقد نتج ذلك عن التأثير بالفلسفة اليونانية والهندية والعقائد اليهودية والنصرانية؛ فقبل بروز المعتزلة كفرقة فكرية على يد واصل بن عطاء كان هناك جدل ديني فكري بدأ بمقولات جدلية كانت هي الأسس الأولى للفكر المعتزلي، على أن هناك رواية ترجع الفكر المعتزلي في نفي الصفات إلى أصول يهودية فلسفية؛ فالجعد بن درهم أخذ فكره عن أبان بن سمعان، وأخذها أبان عن طالوت وأخذها طالوت عن خاله لبيد بن الأعصم اليهودي (٥٠). وقيل أيضاً: إن مناقشات الجهم بن صفوان مع فرقة السمنية قد أدت إلى تشكيكه في دينه، وابتداعه لنفي الصفات، كما أن فكر يوحنا الدمشقي وأقواله تُعدُّ موردًا من موارد الفكر الاعتزالي؛ إذ إنه كان يقول بالأصلح، ونفي الصفات (٥١) الأزلية وحرية الإرادة الإنسانية.

(٤٨) - الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، المؤلف: د. مانع بن حماد الجهني (ت: ١٤٢٣هـ)، ، الناشر: دار الندوة للنشر؛ عدد المجلدات: ٢. (ص: ٦٩). المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية: (ص: ٧٣).

(٤٩) - ناصر العقل: الجهمية والمعتزلة ص ١٢٧.

(٥٠) - شيخ الإسلام ابن تيمية: مجموع الفتاوى: (٢٠/٥)

(٥١) - نقل شيخ الإسلام ابن تيمية عن ابن عبد البر قوله: "أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بما وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكتفون شيئاً من ذلك، ولا يحدون فيه صفة محصورة، وأما أهل البدع الجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكروها ولا يحمل شيئاً منها على الحقيقة، ويزعمون أن من أقر بما مشبهه وهم - عند من أقر بما - نافون للمعبود، والحق فيها ما قال القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وهم أئمة الجماعة. يُنظر: شيخ الإسلام ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٣/٢٦٤).

رابعًا: بروزها

وقد برزت المعتزلة بعد ذلك كفرقة فكرية على يد واصل بن عطاء الذي كان تلميذًا للحسن البصري، وذلك عندما دخل رجل على الحسن البصري فقال: يا إمام الدين، لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة، وهم وعيدية الخوارج، وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان، بل العمل على مذهبهم ليس ركنًا من الإيمان، ولا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وهم مرجئة الأمة، فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقادًا؟ فتفكر الحسن في ذلك وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء^(٥٢): أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقًا ولا كافر مطلقًا، بل هو في منزلة بين المنزلتين، لا مؤمن ولا كافر. ثم قام واعتزل إلى أسطوانة من أسطوانات المسجد، يقرر ما أجاب على جماعة من أصحاب الحسن، فقال الحسن: اعتزل عنا واصل؛ فسمي هو وأصحابه معتزلة^(٥٣). ولأجل هذا سمّاهم المسلمون معتزلة لاعتزالهم قول الأمة بأسرها).

وكان علماء التابعين في ذلك العصر مع أكثر الأمة يقولون: إن صاحب الكبيرة من أمة الإسلام مؤمن؛ لما فيه من معرفته بالرسول والكتب المنزلة من الله تعالى، ومعرفته بأن ما جاء من عند الله حق، ولكنه فاسق بكبيرته، وفسقه لا ينفي عنه اسم الإيمان والإسلام، وعلى هذا القول مضى سلف الأمة من الصحابة وأعلام التابعين.^(٥٤)

خامسًا: انتشارها

ولقد انتشرت حركة الاعتزال في أنحاء الممالك الإسلامية واستقطبت شخصيات بارزة، أمثال: واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد، وأبي الهذيل العلاف، وإبراهيم النّظام وغيرهم، وقد كان لهذه الشخصيات تأثير بعيد المدى في مختلف ميادين الحياة العقلية، فنظرية المعرفة عندهم كانت تستند على العقل، كونهم أطلقوا العنان للعقل في البحث في جميع المسائل من غير أن يحده أي حد، وجعلوا له الحق في أن يبحث في السماء، وفي الأرض، وفي ذات الله تعالى، وفي الإنسان، وفيما دق وجل.^(٥٥)

(٥٢) - واصل بن عطاء العزّال، البصري المتكلم، كبير المعتزلة، ولد سنة (٨٠هـ) ومات سنة (١٣١هـ)، كان تلميذًا للحسن البصري فحصل خلاف بينه وبين شيخه الحسن البصري، فطرده من مجلسه.

(٥٣) - الشهرستاني: الملل والنحل ١/٦١، ٦٢.

(٥٤) - المرجع السابق نفسه: (ص ١٠٨).

(٥٥) - ضحى الإسلام - أحمد أمين: (٣ / ٨٦). بتصرف.

سادساً: انقسامها

لقد انقسمت المعتزلة إلى فرق شتى، تسمى كل منها باسم زعيمها، ومن أبرز تلك الفرق:

أ- الواصلية: (أصحاب واصل بن عطاء المخزومي - مولاهم-) (ت: ١٣١هـ)

ب- النظامية: (أصحاب إبراهيم بن سيار النظام). (ت: ١٨٥هـ)

ج- الجاحظية: (أصحاب الجاحظ) أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة الليثي الكناني البصري (ت: ٢٥٥هـ)

سابعاً: أصوله مذهبها

ورغم عن هذا الانقسام، إلا أن ثمة أصول خمسة ظلت تجمع فرق المعتزلة ألا وهي: التوحيد، العدل، الوعد، الوعيد، المنزلة بين المنزلتين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وفي نحو ذلك يقول الخياط أحد كبارهم في كتابه "الانتصار":

" ليس يستحق أحد منهم اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا كملت في الإنسان هذه الخصال الخمس، فهو معتزلي".^(٥٦)

ثامناً: أبرز أسباب توسع أفكارها عن الأصول الخمسة

إن المعتزلة كغيرها من الفرق بدأت بأفكار ومعتقدات مختصرة ومحدودة ومحصورة في أصولهم الخمسة التي ذكرها الخياط آنفاً. ولكن تعمقهم وتوسعهم في بحثها والتنقيب عن شرح معانيها، فتفرع عن بحثهم وتنقيبهم هذا مسائل فرعية عدة منبثقة عن تلك الأصول الخمسة وعن غيرها أيضاً، وكان ذلك لأسباب عدة لعل من أبرزها.

أ- أنهم يتقيدوا بنصوص وحبي التنزيل "الكتاب والسنة"، واعتمدوا على العقل وبالغوا في ذلك حتى قدموه على النقل، مما كان له أعظم وأبلغ الأثر في وقوع الخلاف والاحتدام فيما بينهم البعض.

ب- أنهم انفتحوا على مطالعة ومدارسة كتب الفلسفة اليونانية، فقد استمدوا أفكارها منها ومزجوها وخلطوها بالعقيدة الإسلام الصحيحة المنبثقة من الوحي المنزل، فتشعبت بهم الأهواء

والكاتب "أحمد أمين" -هذا- أحد رؤوس العصرانيين "العقلانيين" في عصرنا، ممن عظموا العقل حتى ردوا به أحاديث المعصوم صلى الله عليه وسلم، وانتصروا للمعتزلة ضد أهل السنة - وطالع ما يقول عنه ولده جلال في مذكراته: (ص ٣٠٣-٣٠٤) يتبين لك أمر الرجل.

(٥٦) - الانتصار: (ص: ١٢٦).

بسبب سوء المصدر الفلسفي اليوناني وعدم لزومهم وتقيدهم بنصوص الكتاب والسنة، فنتج عن ذلك اختلاف في الآراء، وزاد بينهم الجدل العقيم، واشتد بينهم الحوار والتنازع والانقسام إلى فرق شتى أوصلها بعضهم إلى نيف وعشرين فرقة، وأصبح لكل فرقة منها رؤساؤها وآراؤها وأفكارها الخاصة بها.

وهذا أمر لا غرابة فيه، فالسنة تجمع والبدعة تفرق، فأهل الحق سُموا بـ "أهل السنة والجماعة" بسبب لزومهم السنة واجتماعهم عليها، وأهل الباطل سُموا بـ "أهل البدعة والاختلاف" بسبب تفرقهم وتنازعهم.

نسأل الله تعالى الثبات على الإسلام والسنة والجماعة حتى نلقاه سبحانه، وحتى نرد حوض المعصوم صلى الله عليه وسلم ونشرب منه شربة هنيئة لا نظماً بعدها أبداً يوم يقول لأهل البدع سحفاً سحفاً، فقد ثبت في الصحيحين من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا، لَيَرَدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرَفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُجَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ، فَأَقُولُ: إِنَّهُمْ مِنِّي، فَيَقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدْتُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سَحْفًا، سَحْفًا، لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي". (٥٧).

يقول الإمام الشاطبي رحمه الله: (ت: ٧٩٠هـ)

"ولقوله: (قد بدلوا بعدك)، ولو كان الكفر: لقال: "قد كفروا بعدك"

، وأقرب ما يحمل عليه: تبديل السنة، وهو واقع على أهل البدع ومن قال: إنه النفاق: فذلك غير خارج عن مقصودنا؛ لأن أهل النفاق إنما أخذوا الشريعة تقيّة، لا تعبدًا، فوضعوها غير مواضعها، وهو عين الابتداع

ويجري هذا المجرى كل من اتخذ السنّة والعمل بها حيلةً وذريعةً إلى نيل حطام الدنيا، لا على التعبد بها لله تعالى؛ لأنه تبديل لها، وإخراج لها عن وضعها الشرعي". (٥٨)

قال النووي رحمه الله معلقاً على الحديث: (ت: ٦٧٦هـ)

"هذا مما اختلف العلماء في المراد به على أقوال:.... والثالث: أن المراد به أصحاب المعاصي والكبائر الذين ماتوا على التوحيد، وأصحاب البدع الذين لم يخرجوا ببدعتهم عن الإسلام". (٥٩)

(٥٧) - رواه البخاري: (٦٢١٢)، ومسلم: (٢٢٩٠).

(٥٨) - الاعتصام: (١ / ٩٦).

(٥٩) - شرح النووي على مسلم: (٣ / ١٣٦، ١٣٧).

قال القرطبي رحمه الله: (ت: ٦٧١هـ)

"قال علماؤنا رحمة الله عليهم أجمعين: فكلُّ مَنْ ارتد عن دين الله، أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله، ولم يأذن به الله: فهو من المطرودين عن الحوض، المبعدين عنه، وأشدّهم طردًا: مَنْ خالف جماعة المسلمين، وفارق سبيلهم، كالخوارج على اختلاف فرقها، والروافض على تباين ضلالها، والمعتزلة على أصناف أهوائها، فهؤلاء كلهم مبدّلون، وكذلك الظلمة المسرفون في الجور، والظلم، وتطمسيس الحق، وقتل أهله، وإذلالهم، والمعلنون بالكبائر، المستخفون بالمعاصي، وجماعة أهل الزيغ، والأهواء والبدع".^(٦٠)

المطلب الأول: أول من قال بالصَّرْفَةِ من المعتزلة

كان إبراهيم النّظام الذي هو أحد رؤوس هؤلاء المعتزلة، هو أول من قال بالصَّرْفَةِ منهم وفي ذلك يقول عنه محمد أبو زهرة:

"فهو أول من جاهر به، وأعلنه ودعا إليه، ولاحى عنه، كأنه مسألة من مسائل علم الكلام، ونقول إنه أول من جهر به، ولا نقول إنه أول من فكر فيه، أو أول من ابتدأ القول به، لأن الأفكار لا يعرف ابتداؤها وهي تتكون في خلاياها، بل لا تعرف إلا بعد أن تظهر، ويجاهر بها. جاهر بها، وكان ذا فصح وبيان وحجة وبرهان، وإن لم يكن مستقيم الفكر، بل إنه يظن الظن فيحسبه يقينًا، ثم يبني عليه ويقايس، ويصحح القياس والتنظير بين الأشياء، بينما الأصل ذاته يحتاج إلى قياس صحيح".^(٦١)

يقول عنه تلميذه الجاحظ: (ت: ٢٥٥هـ)

"وإنما كان عيبه الذي لا يفارقه سوء ظنّه وجودة قياسه على العارض والخاطر، .. كان يظنُّ ثمَّ يقيس عليه وينسى أنّ بدء أمره كان ظنًّا فإذا أتقن ذلك وأيقنَ جزم عليه".^(٦٢)

"ولم يكن رد الجاحظ على شيخه رد المجادل المحاور، ولكنه كان بالعمل، فقد كان أول من كتب في إعجاز القرآن من الناحية البيانية؛ ليكون الرد على الصرفة ببيان الإعجاز الذاتي".^(٦٣)

وليتجلى الأمر بصورة أوضح فقد "كان النّظام - إبراهيم بن سيار بن هانئ النظام البصري من الموالي، وإليه تنتسب الفرقة النظامية^(٦٤) - أول من اقترن اسم الصَّرْفَةِ باسمه، واشتهر أنه أول المنادين

(٦٠) - التذكرة في أحوال الموتى والدار الآخرة: (ص ٣٥٢)

(٦١) - يُنظر: أبو زهرة، المعجزة الكبرى للقرآن، ص: ٥٩، الشاملة الحديثة.

(٦٢) - الحيوان للجاحظ: (٢/٢٢٩-٢٣٠).

(٦٣) - يُنظر: أبو زهرة، المعجزة الكبرى للقرآن، (ص: ٥٩)، الشاملة الحديثة.

بها، وقيل له - النَّظَام - لأنه كان ينظم الخرز في سوق البصرة، تتلمذ على خاله أبي الهذيل العلاف في الاعتزال، ثم انفرد عنه وكون مذهبًا خاصًا به، مات في ريعان شبابه (سنة ٢٣١ للهجرة) عن ست وثلاثين عامًا، وكان أستاذ - الجاحظ - (٦٥)، ترجم له أبو منصور البغدادي - في كتابه - الفرق بين الفرق - عند ذكره الفرقة النظامية فقال: - (عاشر النَّظَام في شبابه قومًا من الثنوية (٦٦) وقومًا من السمنية (٦٧) القائلين بتكافؤ الأدلة، وخالط قومًا من ملاحدة الفلاسفة، ثم دون مذاهب الثنوية، وبدع الفلاسفة، وشبه الملاحدة في دين الإسلام، وأعجب بقول البراهمة بإبطال النبوات، ولم يجسر على إظهار هذا القول خوفًا من السيف، فأنكر إعجاز القرآن في نظمه، وأنكر ما روي في معجزات نبينا - صلى الله عليه وسلم - من انشقاق القمر، وتسبيح الحصى في يده، ونبع الماء من بين أصابعه، ليتوصل بإنكار معجزات نبينا - عليه السلام - إلى إنكار نبوته، ثم أنه استثقل أحكام شريعة الإسلام في فروعها، ولم يجسر على إظهار رفعها، فأبطل الطرق الدالة عليها، فأنكر لأجل ذلك حجية الإجماع، وحجية القياس في الفروع الشرعية، وأنكر الحجة من الأخبار التي توجب العلم الضروري ثم إنه ذكر الصحابة بما يقرؤها غدًا في صحيفة مخازيه، وطعن في فتاوى أعلام الصحابة - رضي الله عنهم - ثم قال: - والفضيحة الخامسة عشرة من فضائحه - أي النَّظَام - : أن نظم القرآن وحسن تأليف كلماته، ليست بمعجزة للنبي - عليه الصلاة والسلام -، ولا دالة على صدقه في دعواه النبوة، وإنما وجه الدلالة منه على صدقه، ما فيه من الإخبار بالغيوب، فأما نظم القرآن وحسن تأليف آياته، فإن العباد قادرون على مثله، وعلى ما هو أحسن منه في النظم والتأليف " (٦٨).

وقد تبنت الفرقة - النَّظَامية - بالإضافة إلى ما تقدم من مخالفات لجماعة المسلمين، آراء شاذة في العقائد منها: أن الله لا يقدر أن يفعل بعباده في الدنيا ما لا صلاح فيه، ولا أن يزيد وينقص من

(٦٤)-النظامية أصحاب إبراهيم بن سيار بن هانئ النَّظَام طالع كثيرًا من كتب الفلاسفة وخلط كلامهم بكلام المعتزلة. يُنظر: الملل والنحل-الشهرستاني: (١ / ٦١).

(٦٥)-المعتزلة - زهدي حسن جار الله - منشورات النادي العربي في يافا - ١٩٤٧م - ص ١٢٠-١٢٩.

(٦٦)-الثنوية: قوم يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان ، يُنظر: الملل والنحل : للشهرستاني : الإمام أبي الفتح بعد الكريم (ت: ٥٨٤ هـ) ج ١ / ص ٨٠ بهامش الفصل. دار صادر - بيروت.

(٦٧)- السمنية: فرقة هندية قالت بقدوم العالم وبتناسخ الأرواح - يُنظر: الفرق بين الفرق - للبغدادي الفصل الثاني عشر ص ٢٧٠.

(٦٨)- الفرق بين الفرق: لعبد القاهر بن طاهر البغدادي (ت ٤٢٩ هـ) ص ١٢٨-١٥٠، تحقيق - لجنة إحياء التراث العربي - بيروت - ١٩٨٧م.

عقاب وثواب، والتواتر يحتمل الكذب، وأوجبوا النص على الإمام، وثبوت الإمامة لعلي -رضي الله عنه - لكن عمر - رضي الله عنه - كتبه... (٦٩).

وقال الشهرستاني في الملل والنحل: (ت: ٥٤٨هـ)

"والنظامية: أصحاب ابراهيم بن سيار بن هانئ النظام، وإبراهيم النظام قد طالع كثيراً من كتب الفلاسفة، وخلط كلامهم بكلام المعتزلة، وانفرد عن أصحابه بمسائل منها: قوله في إعجاز القرآن أنه من حيث إخباره عن الأمور الماضية والآتية، ومن جهة صرف الدواعي عن المعارضة، ومنع العرب من الاهتمام به جبراً وتعجيزاً، حتى لو خلاهم لكانوا قادرين على أن يأتوا بسورة من مثله، بلاغة، وفصاحة، ونظماً... (٧٠)

ففي رأي - النظام - إذن: أن الله قد صرف أوهام العرب عن معارضة القرآن، فانصرفوا عن ذلك، وتعذرت عليهم المعارضة، لا لأن القرآن في حد ذاته خارج عن طوق البشر، أو خارقاً لمقدرتهم، ومألوف عادتهم، فهو في ذلك لا يتفوق على البليغ الفصيح من كلام العرب، ولا تكاد تكون له مزية أو فضل في ذلك، ولو ترك لهم المجال، وأفسح أمامهم الطريق، لأتوا بمثل القرآن فصاحة، وبلاغة، وحسن نظم، وتأليف... (٧١)

نعوذ بالله من الخذلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

المطلب الثاني: القائلون بالصرفة من المعتزلة غير "النظام"

ليس القول بالصرفة مقصوراً على النظام كما يظنه البعض بل لقد سلك هذا الطريق أقوام كثر سواء من المعتزلة أو من غيرهم كذلك.

وإن كان النظام أبرز من قال بالصرفة من المعتزلة، فقد تابعه عليه كذلك أقوام وكان من أبرز هؤلاء كل من:

١- عيسى بن صبح المكنى بأبي موسى المزدار (ت: ٢٢٦ هـ): كان معروفاً بالناسك وقد تلمذ لبشر بن المعتمر وأخذ العلم عنه وتزهد ويسمى راهب المعتزلة. (٧٢)، وقد تلمذ له أيضاً

(٦٩) - مباحث في إعجاز القرآن - د. مصطفى مسلم، الطبعة الثانية - دار المسلم بالرياض - سنة ١٩٩٦م، نقلًا عن لوامع الأنوار لمحمد بن أحمد السفاريني - ج ١ / ص ٧٨.

(٧٠) - الملل والنحل - للشهرستاني: ج ١ / ص ٦٧ بهامش الفصل.

(٧١) - إعجاز القرآن الكريم (مرجع سابق) بقلم: سامي عطا الجيتاوي - عن موقع دنيا الوطن، بتاريخ: ١٥/٦/٢٠٠٦م. بتصرف.

(٧٢) - الملل والنحل للشهرستاني: (١ / ٦٨). بتصرف يسير.

الجعفران،

والجعفران هما:

أ- جعفر بن حرب الثقفي المعتزلي العابد أبو الفضل: (ت: ٢٣٤هـ) من نساك القوم وله تصانيف.

ب- وجعفر بن مبشر الهمداني المعتزلي البغدادي أبو محمد: (ت: ٢٣٦هـ) الفقيه البليغ كان مع بدعته يوصف بزهد وتآله وعفة.

وكان الجعفران سيذا معتزلة بغداد في عصرهما، ومضربا المثل في العلم والعمل عندهم.

كما تلمذ له أيضاً أبو زفر وهو من مصنفي المعتزلة، ومحمد بن سويد المعتزلي.

... وصحبه (أبو جعفر) محمد بن عبد الله الإسكافي وعيسى بن الهيثم وجعفر بن حرب الأشج. وحكى الكعبي عن الجعفرين أنهما قالوا: إن الله تعالى خلق القرآن^(٧٣) في اللوح المحفوظ ولا يجوز أن ينقل إذ استحيل أن يكون الشيء الواحد في مكانين في حالة واحدة وما نقرؤه فهو حكاية عن المكتوب الأول في اللوح المحفوظ وذلك فعلنا وخلقنا. (٧٤).

وقد تولى المزدار رئاسة المعتزلة ببغداد (٧٥).

وقال في القرآن: إن الناس قادرون على مثل القرآن فصاحة ونظماً وبلاغة،

وهو الذي بالغ في القول بخلق القرآن وكفر من قال بقدمه. (٧٦)

وهو الذي نُسب إليه القول بأن: (الناس قادرون على أن يأتوا بمثل هذا القرآن وبما هو أفصح منه). (٧٧)

٢- عباد بن سليمان الصخري: معتزلي من أهل البصرة من تلامذة هشام بن عمرو القوطي. (٧٨)

٣- القاضي هشام بن عمرو القوطي: بصري، عدّه القاضي في نهاية الطبقة السادسة من المعتزلة كان يحظى باحترام المأمون. (٧٩)

(٧٣)- وذلك لأن المعتزلة يقولون بخلق القرآن، وأما أهل السنة فيقولون بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق. الباحث.

(٧٤)- المرجع السابق: (١ / ٦٩).

(٧٥)- طبقات المعتزلة ص ٧٠ الفرق بين الفرق ص ١٥٤ د، عمر السلامي؛ الإعجاز الفني في القرآن ص ٥٢ - ٦٥

(٧٦)- الملل والنحل للشهرستاني: (١ / ٦٨).

(٧٧) - الفرق بين الفرق - ص ١٥٤.

(٧٨) - ابن النديم؛ الفهرست ٢٦٩ - ٢٨٠

(٧٩)- طبقات المعتزلة ٦٩

٤- أبو إسحاق النصيبي: من الطبقة الحادية عشرة من المعتزلة وكان يشك في النبوات كلها. (٨٠)

٥- "الجاحظ" أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب البصري المعتزلي (٨١).

ولقد فندَّ (الجاحظ) دعوى أستاذه (النظام) في كتابٍ مفقودٍ سماه "الاحتجاج لنظم القرآن".
قال في مقدمته:

"فلم أدع فيه مسألةً لرافضي ولا لحديثي، ولا لحشوي ولا لكافر مباد، ولا لمنافق مقموع، ولا لأصحاب النظام، ولمن نجم بعد النظام ممن يزعم أن القرآن حق، وليس تأليفه بحجة، وأنه تنزيل، وليس ببرهان ولا دلالة". (٨٢)

ورجح (الرافعي) أن الجاحظ تابع طائفته المعتزلة في القول بالصرِّفة، وإن كان له رأيٌ في أن القرآن في الدرجة العليا من الفصاحة. يقول عنه: "لم يسلم... من القول بالصرِّفة، وإن كان قد أخفاها وأوماً إليها من غرض". واستدل بقوله في كتاب "الحيوان": "ومثل ذلك ما رفع من أوهام العرب وصرف نفوسهم عن المعارضة للقرآن بعد أن تحداهم الرسولُ بنظمه". (٨٣)

وقال العلامة محمود محمد شاكر:

"إن الجاحظ يقول بالصرِّفة مثل شيخه (النظام)، وأنه هو الذي أظهر هذا القول وأشاعه، لكنه أضاف إليها الإعجاز بالنظم. ولما رأى الجاحظ التناقض بين قوله كاد أن يتراجع". (٨٤)

وقد نفى أحد الباحثين المعاصرين عن الجاحظ هذا الانتساب لمذهب الصرفة بتفريقه بين مراد الجاحظ ومراد شيخه. (٨٥)

والحقيقة: لقد وقع الجاحظ في التناقض والاضطراب لقوله بالصرِّفة - وإن اختلف مفهومه لها عن مفهوم أستاذه النظام.

(٨٠) - أبو حيان التوحيدي الإمتاع والمؤانسة: (١٤١/١).

(٨١) - العلامة المتبحر، ذو الفنون، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب البصري المعتزلي، صاحب التصانيف. أخذ عن النظام. وروى عن: أبي يوسف القاضي، وثمامة بن أشرس. قال ثعلب: ما هو بثقة. قلت: كان ماجناً قليل الدين، له نوادر مات سنة خمسين ومائتين. وقال الصولي: مات سنة خمس وخمسين ومائتين.. سير أعلام النبلاء: (٥٢٧/١١). بتصرف.

(٨٢) - نقلاً عن الإعجاز البياني: (ص: ٣٦٠).

(٨٣) - إعجاز القرآن للرافعي: (ص: ١٠٢)

(٨٤) - محمود شاكر: مداخل إعجاز القرآن، (ص: ٥٦-٦٨)

(٨٥) - الإعجاز البلاغي للدكتور. محمد أبو موسى، (ص: ٣٧٠)، ويُنظر مدونة: نورة الشريف بتاريخ: ٢٠٠٨/٦/١٣ م.

قال مصطفى صادق الرافعي :-

" أما الجاحظ فان رأيه في الإعجاز كرأي أهل العربية، وهو أن القرآن في الدرجة العليا من البلاغة التي لم يعهد مثلها، غير أن الرجل كثير الاضطراب، فان هؤلاء المتكلمين كأنما كانوا في منخل، ولذلك لم يسلم هو أيضاً من القول بالصَّرْفَة..... ثم قال (الرافعي) مبرراً قول الجاحظ بالصرفة: وقد يكون استرسل بهذه العبارة لما في نفسه من أمر أستاذه النظام، وهو شيء ينزل على حكم الملابس، ويعتري أكثر الناس إلا من تنبه له أو نبه عليه، أو يكون هو ناقلاً ولا يدري...".^(٨٦) وما قاله الرافعي عن الجاحظ هو القول العدل فيه الذي يشهد له كلام الجاحظ نفسه.

٦- "الرماني" علي بن عيسى أبو الحسن الرماني المعتزلي.^(٨٧)

والصَّرْفَة عنده تشبه الصَّرْفَة عند الجاحظ، فهي لا تقدر في بلاغة القرآن وحسن تأليفه، وإن كان الجاحظ فيه ما فيه من التناقض والاضطراب. وقد ذكر الرماني أن القرآن في أعلى مراتب البيان، ولا يدانيه شيء من كلام فصحاء العرب وبلاغيينهم، وصَّرْفَة الرماني - كما هو الشأن عند الجاحظ - من فعل الله بالقوم، فهي إذن شيء خارج عن إرادتهم، ووقع عليهم بقدره الله وتدييره.....

يقول الرماني:

"وأما الصَّرْفَة فهي صرف الهمم عن المعارضة، وعلى ذلك كان يعتمد بعض أهل العلم في أن القرآن معجز من جهة صرف الهمم عن المعارضة، وذلك خارج عن العادة، كخروج سائر المعجزات التي دلت على النبوة، وهذا عندنا أحد وجوه الإعجاز.."^(٨٨) وقول الرماني لا يحتاج إلى زيادة بيان، إذ إنه يقول بالصَّرْفَة ويرى أنها أحد وجوه الإعجاز عند المعتزلة.

(٨٦) - إعجاز القرآن - مصطفى صادق الرافعي - طبع المقتطف سنة ١٩٢٨م - ص ١٦٥.

(٨٧) - أبو الحسن الرماني (٢٩٦ - ٣٨٤ هـ = ٩٠٨ - ٩٩٤ م).

باحث معتزلي مفسر. من كبار النحاة. أصله من سامراء، ومولده ووفاته ببغداد. يُنظر: بغية الوعاة ٣٤٤ ووفيات الأعيان ١: ٣٣١ وسير النبلاء - خ. الطبقة الحادية والعشرون. وتاريخ بغداد ١٢: ١٦ ونزهة الألباب ٣٨٩ ومفتاح السعادة ١: ١٤٢ وإنباه الرواة ٢: ٢٩٤.

(٨٨) - النكت في إعجاز القرآن - علي بن عيسى الرماني - (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) الطبعة الثالثة دار المعارف بمصر - ص ١١٠ تحقيق محمد خلف الله أحمد وزميله.

٧- القاضي عبد الجبار: القاضي أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن الخليل بن عبدالله

الأسد آبادي المعتزلي. (٨٩)

وبسبب المعتقدات الفاسدة التي يعتقدونها النظام وبتبناها ويقول بها فقد كفره جمع من العلماء هو وفرقته، حتى إن بعض المعتزلة أنفسهم قد كفره كذلك.

موقف القاضي عبد الجبار وقوله في الصِّرفة

القاضي عبد الجبار: " قد خالف جميع من تقدموه ممن تحدثوا عنها، ولم يرض عن تفسيراتهم، وأعطى القضية بعداً أعمق، وفهما أنضج فقد أبعده مفهوم الجبرية الذي ساد في حديث - النظام - والجاحظ- والرماي - عنها، لأنها كانت عندهم جميعاً شيئاً خارجاً عن إرادة القوم، مجبورين عليه جبراً". (٩٠)

وقدم بين يدي ذلك أدلة منها:-

أولاً: لو كانوا ممنوعين من الإتيان بكلام فصيح، أو قول بليغ، لكان ذلك لا يختص بكلام دون كلام، وأنه لو حصل ذلك في ألسنتهم، لما أمكنهم الكلام المعتاد، ولكن القوم ظلوا يتكلمون ويأتون بالقول الفني الممتاز، ولم ينحدر مستوى بياهم أو يهبط، ولكنه كان - على علوه - لا يرقى الى مستوى القرآن.

ثانياً: ولو ثبت هذا المنع لكان في حد ذاته هو المعجز وليس القرآن، فان من سلك هذا المسلك في القرآن، يلزمه أن لا يجعل له مزية ألبتة.

ثالثاً: ولو ثبت هذا المنع بأية صورة من صورته لبطل بعض القرآن، ولما كان صحيحاً قوله تعالى:-
(قُلْ لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ

(٨٩)- القاضي عبد الجبار (٠٠٠ - ٤١٥ هـ = ٠٠٠ - ١٠٢٥ م).

عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمداني الأسد آبادي، أبو الحسين المعتزلي:

العلامة المتكلم ، شيخ المعتزلة، أبو الحسن الهمداني صاحب التصانيف ، من كبار فقهاء الشافعية ولي قضاء القضاة بالري، وتصانيفه كثيرة تخرج به خلق في الرأي المقوت. مات في ذي القعدة سنة خمس عشرة وأربعمائة من أبناء التسعين.

سير أعلام النبلاء، الطبقة الثانية والعشرون، القاضي عبد الجبار (٢٥٤/١٧).

(٩٠)- التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة - د. وليد قصاب - الدوحة - دار الثقافة - ط أولى سنة ١٩٨٥م - ص

لِيَعُضِّ ظَهِيرًا (٨٨) (الإسراء: ٨٨)

رابعاً: القول بالصَّرْفَةِ يتعارض مع الآية السابقة، لأنه لا يقال في الجماعة إذا امتنع عليها الشيء: إن بعضها يكون ظهيراً لبعض، لأن المعاونة والمظاهرة، انما تمكن مع القدرة، ولا تصح مع العجز والمنع^(٩١).

وبعد أن قدم - القاضي عبد الجبار - هذه الأدلة التي نقض بها مفهوم من تقدموه عن - الصَّرْفَةِ -، توصل القاضي الى مفهوم جديد للصَّرْفَةِ، وهو في هذه المرة يرتبط بالقوم أنفسهم، وليس شيئاً خارجاً عنهم، أو مفروضاً عليهم فرضاً، وهذا المفهوم: هو

إن دواعيهم انصرفت عن المعارضة لعلمهم بأنها غير ممكنة على ما دللنا عليه، ولولا علمهم بذلك لم تكن لتصرف دواعيهم، لأننا نجعل انصراف دواعيهم تابعاً لمعرفتهم بأنها متعذرة عليهم..^(٩٢) فهي صرفة تشبه اليأس الذي يعتري الانسان من أمر ما حاوله عدة مرات، وكان يبنى كل مرة بالإخفاق الذريع، فإذا بعزمته تشبث، وهمته تنهار، وذلك كان شأن القوم مع القرآن، فلم يكن تركهم للمعارضة لأمر خارجي، وانما لإحساسهم باليأس، وتيقنهم من العجز عن الاتيان بمثل القرآن

يقول القاضي عبد الجبار:

" واعلم أن الخلاف في هذا الباب أنا نقول: إن دواعيهم انصرفت عن المعارضة لعلمهم أنها غير ممكنة، ولولا علمهم بذلك لم تكن لتصرف دواعيهم، لأننا نجعل انصراف دواعيهم تابعاً لمعرفتهم بأنها متعذرة، وهم يقولون: ان دواعيهم انصرفت مع التأني، ولأجل انصراف دواعيهم، لم يأتوا بالمعارضة مع كونها ممكنة، فهذا موضع الخلاف.."^(٩٣)

ثم ينهي - القاضي عبد الجبار - حديثه عن مفهومه للصَّرْفَةِ فيقول: -

" فالصحيح ما قلناه، من أنهم علموا بالعادات تعذر مثله، فصار علمهم صرفاً عن المعارضة.."^(٩٤) فالصَّرْفَةُ بهذا المفهوم الجديد عند القاضي عبد الجبار، ليست تلك الصَّرْفَةُ التي عند - النظام - أو - الجاحظ -، والتي تعني: القهر والجبر، وإنما هي صَّرْفَةُ ذاتية، فهم أدركوا بالفطرة أن أسلوب

(٩١) - المغني في أبواب التوحيد والعدل - ج ١٦ - للقاضي عبد الجبار - تحقيق: أمين الخولي - وزارة الثقافة والإرشاد القومي - بمصر ج ١٦ / ص ٣٢٣.

(٩٢) - المرجع السابق ج ١٦ / ص ٣٢٤.

(٩٣) - المرجع السابق نفسه، ونفس الجزء والصفحة.

(٩٤) - المرجع السابق ج ١٦ / ص ٣٢٥.

القرآن في علوه وسموه، وروعة نظمه وبيانه، لا يمكن مجاراته ومعارضته، فانصرفوا ذاتياً بلا قهر أو جبر من قوة خارجية عن المعارضة، اقتناعاً منهم وقيناً بالعجز، فالأمر في الحقيقة: انصراف.. وليس صرفة..^(٩٥).

وبذلك يكون القاضي عبد الجبار أقل القوم وأضعفهم تعسفاً في قضية القول بالصرفة.

المطلب الثالث: القائلون بالصرفة من غير المعتزلة، من الأشاعرة وغيرهم.

أولاً: الأشاعرة:

أما الأشاعرة: فَجُلِّهْهُمَ إِذَا يَقْبَلُ بِنَظَرِيَةِ الصَّرْفَةِ إِذَا كَوَّجَهُ ثَانَوِيٌّ مِنْ أَوْجِهَةِ الإِعْجَازِ فَهُوَ عِنْدَهُمْ تَابِعٌ لِلْوَجْهِ الأَوَّلِ، والأهمّ وهو إعجاز القرآن بنظمه وذاته، وإمّا يقولون بما من باب المجادلة والمنافحة عن الحق لا غير.

ثانياً: ما ينسب إلى أبي الحسن الأشعري(ت: ٣٢٤هـ)

يقول الشهرستاني: محمد بن عبد الكريم (ت: ٥٤٨هـ) أثناء حديثه عن أبي الحسن الأشعري:-
"والقرآن عنده معجز من حيث البلاغة، والنظم، والفصاحة، إذ خير العرب بين السيف وبين المعارضة، فاختروا أشد القسمين اختيار عجز عن المقابلة، ومن أصحابه من اعتقد أن الإعجاز في القرآن من جهة صرف الدواعي، وهو المنع من المعتاد".^(٩٦)

ثالثاً: ما يُنسب للقاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت: ٥٤٤هـ)

قال محمد بن أحمد السفاريني: (ت: ١١٨٩هـ) :-

"وفي شفاء أبي الفضل القاضي عياض بعض ميل للقول بالصرفة، فإنه قال: وذهب الشيخ أبو الحسن (الأشعري) إلى أنه مما يمكن أن يدخل مثله تحت مقدور البشر، ويقدرهم الله عليه، ولكنه لم يكن هذا، ولا يكون، فمنعهم الله هذا، وعجزهم عنه".^(٩٧) ولا شك في وضوح قول القاضي عياض بالصرفة، فالمنع والتعجيز بمعنى أنه سبحانه صرفهم عنه بمنعهم وتعجيزهم عن الإتيان بمثله.

رابعاً: الفخر الرازي (ت: ٦٠٦هـ)

(٩٥) - إعجاز القرآن الكريم(مرجع سابق) بقلم: سامي عطا الجيتاوي-عن موقع دنيا الوطن، بتاريخ: ٢٠٠٦/٦/١٥م.
بتصرف يسير.

(٩٦) - الشهرستاني: الملل والنحل، بهامش الفصل: (١٣٥: ١٣٦) وجل هذه الأقوال نقلاً من بحث الصرفة للدكتور/سامي عطا حسن. بتصرف

(٩٧) - محمد بن أحمد السفاريني: لواع الأنوار البهية: (١٧٥/١).

أطلق القول بالصَّرْفَةِ في بعض مواضع تفسيره كقوله عند تعرضه لآية التحدي في سورة البقرة: حيث يقول:

الطريق الثاني، أن نقول: " القرآن لا يخلو إما أن يقال: إنه كان بالغًا في الفصاحة إلى حد الإعجاز، أو لم يكن كذلك، فإن كان الأول: ثبت أنه معجز، وإن كان الثاني: كانت المعارضة على هذا التقدير ممكنة، فعدم إتيانهم بالمعارضة، مع كون المعارضة ممكنة، ومع توفر دواعيهم على الإتيان بها، أمر خارق للعادة، فكان ذلك معجزًا، فثبت أن القرآن معجز على جميع الوجوه، وهذا الطريق عندنا أقرب إلى الصواب".

وفي مواضع أخرى قيدها بالسور القصار حيث يقول:

" فإن قيل: قوله (فأتوا بسورة من مثله) يتناول سورة الكوثر، وسورة العصر، وسورة (قل يا أيها الكافرون)، ونحن نعلم بالضرورة أن الإتيان بمثله، أو بما يقرب منه ممكن، فإن قلت: إن الإتيان بأمثال هذه السور خارج عن مقدور البشر، كان ذلك مكابرة، والإقدام على هذه المكابرات مما يطرق التهمة إلى الدين، قلنا: ولهذا السبب اخترنا الطريق الثاني، وقلنا: إن بلغت هذه السورة في الفصاحة إلى حد الإعجاز، فقد حصل المقصود، وإن لم يكن الأمر كذلك، كان امتناعهم عن المعارضة - مع شدة دواعيهم إلى توهين أمره - معجزًا، فعلى هذين التقديرين يحصل المعجز. (٩٨)

خامسًا: الحافظ ابن كثير الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)

أقرها على سبيل المجادلة والمنافحة على الحق لا غير حيث يقول:

"وقد قرر بعض المتكلمين الإعجاز بطريق يشمل قول أهل السنة، وقول المعتزلة في الصَّرْفَةِ، فقال: إن كان القرآن معجزًا في نفسه لا يستطيع البشر الإتيان بمثله، ولا في قواهم معارضته، فقد حصل المدعى وهو المطلوب، وإن كان في إمكانهم معارضته بمثله، ولم يفعلوا مع شدة عداوتهم له، كان ذلك دليلًا على أنه من عند الله، لصرفه إياهم عن معارضته مع قدرتهم على ذلك، وهذه الطريقة - وإن لم تكن مرضية لأن القرآن في نفسه معجز لا يستطيع البشر معارضته كما قرنا - إلا أنها تصلح على سبيل التنزل، والمجادلة، والمنافحة عن الحق، وبهذه الطريقة أجاب الرازي في تفسيره عن سؤاله في السور القصار، كالعصر، وإنا أعطيناك الكوثر". (٩٩)

(٩٨) - الرازي: مفاتيح الغيب ١١٦١-١١٧، ومحسن عبد الحميد: الرازي مفسرًا (ص: ٢٣٣ - ٢٣٤).

(٩٩) - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: (٦٠/١).

فابن كثير هنا يقرر أن القرآن معجز بذاته، وفي ذلك رد للصَّرْفَة، وهو بذلك يقرها فقط على سبيل التنزل والمجادل عن الحق والمنافحة عنه كما قرر رحمه الله آنفًا، وفي نحو ذلك يقول عند تفسيره لآية التحدي في سورة الإسراء:

ف " لو اجتمعت الإنس والجن كلهم، واتفقوا على أن يأتوا بمثل ما أنزله على رسوله ، لما أطاقوا ذلك ولما استطاعوه، ولو تعاونوا وتساعدوا وتظافروا، فإن هذا أمر لا يستطيع، وكيف يشبه كلام المخلوقين كلام الخالق، الذي لا نظير له ولا مثال له، ولا عديل له؟! ". (١٠٠)

سادسًا: أبو إسحاق الإسفراييني (ت: ٤١٨ هـ)

فقد عدّها وجهًا من أوجه الإعجاز حيث قال في شرحه للمواقف:

"وقيل: إعجازه بالصَّرْفَة، على معنى أن العرب كانت قادرة على كلام مثل القرآن قبل البعثة، لكن الله صرفهم عن معارضته، واختلف في كيفية الصرف، (فقال الأستاذ) أبو إسحاق منا، (والنظام) من المعتزلة، (صرفهم الله عنها مع قدرتهم) عليها، وذلك بأن صرف دواعيهم إليها، مع كونهم مجبولين عليها، خصوصًا عند توفر الأسباب الداعية في حقهم، كالتقريع بالعجز، والاستنزال عن الرياسات، والتكليف بالانقياد، فهذا الصرف خارق للعادة، فيكون معجزًا ". (١٠١)

سابعًا: الراغب الأصبهاني (ت: ٤٢٥ هـ) حيث يقول:

"اعلم أن إعجاز القرآن ذكر من وجهين:

أحدهما: إعجاز يتعلق بنفسه.

والثاني: بصرف الناس عن معارضته " ثم يتبع ذلك بقوله: " فلما دعا الله أهل البلاغة والخطابة، الذين يهيمنون في كل واد من المعاني - بسلاطة لسانهم - إلى معارضة القرآن، وعجزوا عن الإتيان بمثله، ولم يقصدوا لمعارضته، فلم يخف على ذوي البلاغة أن صارفًا إلهيًا صرفهم عن ذلك، وأي إعجاز أعظم من أن يكون كافة البلغاء عجزوا في الظاهر عن معارضة مصروفة في الباطن عنها". (١٠٢)

ثامنًا: أبو الحسن الماوردي (ت: ٤٥٠ هـ) قال في أعلام النبوة:

"الوجه العشرون من أوجه إعجازه: الصَّرْفَة عن معارضته، واختلف من قال بها: هل صرفوا عن القدرة على معارضته مع دخوله في مقدورهم؟.. على قولين:

(١٠٠) - تفسير ابن كثير: (١١٧/٥).

(١٠١) - القاضي عضد الدين الإيجي: شرح المواقف ٦٤٦٨.

(١٠٢) - مقدمة جامع التفاسير: (ص: ١٠٤)، السيوطي: معترك الأقران في إعجاز القرآن: (١/٦٥).

أحدهما: - إنهم صرفوا عن القدرة، ولو قدروا لعارضوا.

والقول الثاني: - إنهم صرفوا عن المعارضة مع دخوله في مقدورهم.

والصرفة إعجاز على القولين معاً....".

ثم يقول:

" فإذا ثبت إعجاز القرآن من هذه الوجوه كلها، صح أن يكون كل واحد منها معجزاً، فإذا جمع القرآن سائرهما كان إعجازه أقهر، وحججه أظهر، وصار كفلق البحر، وحياء الموتى، لأن مدار الحجة في المعجزة إيجاد ما لا يستطيع الخلق مثله" (١٠٣) ومثل ذلك يقوله في تفسيره النكت والعيون:

" فأما إعجاز القرآن الذي عجزت به العرب عن الإتيان بمثله، فقد اختلف العلماء فيه على ثمانية أوجه، إلى أن يقول: والثامن: أن إعجازه هو الصِّرفة، وهو أن الله تعالى صرف همهم عن معارضته، مع تحديدهم أن يأتوا بسورة من مثله، فلم تحركهم أنفة التحدي، فصبروا على نقص العجز، فلم يعارضوه، وهم فصحاء العرب، مع توفر دواعيهم على إبطاله، وبذل نفوسهم في قتاله، فصار بذلك معجزاً لخروجه عن العادة كخروج سائر المعجزات عنها.

واختلف من قال بهذه الصِّرفة على وجهين:

أحدهما: أنهم صرفوا عن القدرة عليه، ولو تعرضوا لعجزوا عنه.

والثاني: - أنهم صرفوا عن التعرض له، مع كونه في قدرتهم، ولو تعرضوا له لجاز أن يقدروا عليه فهذه ثمانية أوجه، يصح أن يكون كل واحد منها إعجازاً، فإذا جمعها القرآن، وليس اختصاص أحدها بأن يكون معجزاً بأولى من غيره، صار إعجازه من الأوجه الثمانية، فكان أبلغ في الإعجاز، وأبدع في الفصاحة والإيجاز". (١٠٤)

تاسعاً: أبو المعالي الجويني المعروف بإمام الحرمين (ت: ٤٧٨هـ) يقول في العقيدة النظامية:

"وقد أكثر الناس في وجه إعجاز القرآن، وتقطعوا فيه أيادي سبأ، وصار معظم الناس إلى أن القرآن تميز على صنوف الكلام بمزية البلاغة والجزالة، خارج عن المعتاد في ذلك، ثم زعم زاعمون: أن إعجازه في شرف جزالته، وذهب آخرون: إلى أن إعجازه في الجزالة الفائقة، وأسلوبه الخارج عن أساليب النظم والنثر، والخطب، والأراجيز، ثم يقول: - من رام أن يثبت إعجاز القرآن بأنه في

(١٠٣)-الماوردي: أعلام النبوة: (ص: ٨٥ - ٨٦).

(١٠٤)-الماوردي: تفسير النكت والعيون: (١/٣٠ - ٣١).

جزالته خارق للعادات، مجاوز لفصاحة اللدد البلغاء، واللسن الفصحاء، فقد حاد عن مدرك الحق، ثم يقرر ويقول: فتبين قطعاً أن الخلق ممنوعون عن مثل ما هو من مقدورهم، وذلك أبلغ عندنا من خرق العوائد بالأفعال البديعة في أنفسها، ومن هدي إلى هذا المسلك فقد رشد إلى الحق المنير، وانعكس كل مطعن ذكره الطاعنون عضداً وتأيداً.

إلى أن يقول: فإذا لم تجر المعارضة، لم يبق لامتناعها، مع توفر الدواعي عليها محمل إلا صرف الله الخلق، فكيف يهتدي إلى إعجاز القرآن، من يحاول أن يثبت خروجه عن العادة في الجزالة، وشفاء الصدور في الحكم؟ فإن مثله من مقدورات الخلق، ولكنهم مصدودون ممنوعون بصرف الله إياهم". (١٠٥)

عاشراً: أبو حامد الغزالي (ت: ٥٠٥هـ) والذي يقول في باب الحاجة:

"فإن قيل: لعل العرب اشتغلت بالحاربة والقتال فلم تعرج على معارضة القرآن، ولو قصدت لقدرت عليه، أو منعتها العوائق عن الاشتغال به، والجواب: - إن ما ذكروه هوس، فإن دفع تحدي المتحدي بنظم كلام أهون من الدفع بالسيف، مهما جرى على العرب من المسلمين بالأسر والقتل والسي، وشن الغارات، ثم ما ذكروه غير دافع غرضنا، فإن انصرفهم عن المعارضة لم يكن إلا بصرف من الله تعالى، والصرف عن المقدور المعتاد من أعظم المعجزات". (١٠٦)

حادي عشر: ابن حزم الأندلسي الظاهري (ت: ٤٥٦هـ)

ومن قال بالصَّرْفَةِ أيضاً الفقيه ابن حزم الأندلسي الظاهري، وكلامه في بالصَّرْفَةِ مضطرب، فهو تارة يقول بها، وتارة يقول بغيرها فهو مضطرب في تلك المسألة، وتمشياً مع القاعدة الأصولية "المثبت مقدم على النافي" فننقل كلام ابن حزم في القول بالصَّرْفَةِ حيث إنه يرى أن القرآن ليس مُعْجِزاً في ذاته، بل لأنَّ الله صرف العرب عن الإتيان بمثله، ويقول بعد إيراد عدة آيات من كتاب الله عز وجل:

".....فكان هذا كله إذ قاله غير الله عز وجل غير معجز بلا خلاف إذ لم يقل أحد من أهل الإسلام أن كلام غير الله تعالى معجز لكن لما قاله الله تعالى وجعله كلاماً له أصاره معجزاً ومنع من مماثلته وهذا برهان كافٍ لا يحتاج إلى غيره". (١٠٧)

(١٠٥) - الجويني: العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية: (ص: ٧٢ - ٧٣).

(١٠٦) - الغزالي: الاقتصاد في الاعتقاد: (ص: ١٢٩ - ١٣٠).

(١٠٧) - الفصل في الملل: (١٢/٣).

وبمطالعة أقوال بعض الباحثين في عدد من المصادر وجدت أكثرها أو جلها على هذا الرأي في ابن حزم رحمه الله، بأنه مضطرب ولم يحسم رأيه وقوله في المسألة، لأنه تارة يقول بها وتارة يقول بغيرها، ولكن كما قال ربنا: (وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ) (يوسف: ٨١).

المطلب الرابع: القائلون بالصرفة من الشيعة الإمامية

والشيعة الإمامية هم حملة لواء القول بالصرفة في العصور المتأخرة خاصة وأهم ورثة الفكر الاعتزالي. وممن قال بها منهم:

أ- الشيخ المفيد: (ت: ٣٣٩هـ) في كتابه أوائل المقالات، وإن حكى عنه غيره.

ب- الشريف المرتضى: (ت: ٣٥٥هـ) في رسالة خاصة تحت عنوان: (الموضح من جهة إعجاز القرآن).

ج- الطوسي: نصر الدين محمد بن محمد بن الحسن (ت: ٣٨٥هـ) في شرحه لكتاب (جمل العلم والعمل) للشريف المرتضى ولكنه تراجع عن القول بها صراحة في كتاب (الاقتصاد).

د- ابن سنان الخفاجي: (ت: ٤٦٦هـ) في كتابه سرّ الفصاحة.

هذا قول من قال بالصرفة من الشيعة الإمامية إجمالاً ونسوق أقوالهم بشيء من التفصيل على النحو التالي:

أ- الشيخ المفيد، أبو عبد الله، محمد بن محمد بن النعمان، البغدادي العكبري، رئيس المذهب الشيعي الإمامي في وقته: (ت: ٣٣٨هـ) قال في جهة إعجاز القرآن:

" إنَّ جهة ذلك هو الصَّرف من الله تعالى لأهل الفصاحة واللسان عن معارضة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمثله في النِّظام عند تحدّيه لهم، وجعل انصرافهم عن الإتيان بمثله . وإن كان في مقدورهم دليلاً على نبوته. واللُّطف من الله تعالى مستمر في الصرف عنه إلى آخر الزمان. وهذا أوضح برهان في الإعجاز، وأعجب بيان. وهو مذهب النِّظام، وخالف فيه جمهور أهل الاعتزال...". (١٠٨)

ب- علي بن الحسين المعروف بالشريف المرتضى (علي بن الحسين بن موسى بن محمد) (ت: ٣٥٥هـ) نقل عنه الطوسي (نصير الدين محمد بن محمد بن الحسن) (ت: ٣٨٥هـ) قوله: " إن

(١٠٨) - الإلهيات، جعفر السبحاني (م) جعفر بن محمد حسين السبحاني الخياباني التبريزي - منشورات المركز العالمي للدراسات الإسلامية، إيران: (الطبعة الأولى، ١٤٠٩ - ١٩٨٩م)، عدد الأجزاء ٤، ص ٣٤١، نقلاً عن: أوائل المقالات للشيخ المفيد: (ص: ٣١).

الله سلب العرب العلوم التي كانت تتأتى منهم بها الفصاحة التي هي مثل القرآن، متى راموا المعارضة، ولو لم يسلبهم ذلك لكان يتأتى منهم". (١٠٩)

ج- نصير الدين الطوسي (ت: ٣٨٥ هـ)

قال بالصفحة في كتابه (تمهيد الأصول في علم الكلام) وهو شرح لكتاب (جمل العلم والعمل) للشريف المرتضى ولكنه تراجع عن القول بها صراحة في كتاب (الاقتصاد).

فقال: "وأقوى الأقوال عندي قول من قال إنما كان معجزاً خارقاً للعادة لاختصاصه بالفصاحة المفرطة في هذا النظم المخصوص، دون الفصاحة بانفرادها، ودون النظم بانفراده، ودون الصفرة، وإن كنت نصرت في شرح الجمل القول بالصفرة، على ما كان يذهب إليه المرتضى من حيث شرحت كتابه، فلم يحسن خلاف مذهبه". (١١٠)

د- ابن سنان الخفاجي (ت: ٤٦٦ هـ) عبد الله بن محمد بن سعيد الخفاجي الشاعر الأديب الشيعي في كتابه الشهير - سر الفصاحة - وهو من الكتب المعدودة في البلاغة، ألفه على طريقة الأدباء، حيث يقول: إذا عدنا إلى التحقيق وجدنا إعجاز القرآن: صرف العرب عن معارضته، بأن سلبو العلوم التي بها كانوا يتمكنون من المعارضة، وقت مرامهم ذلك...

ويقول أيضاً: إن الصحيح أن إعجاز القرآن هو صرف العرب عن معارضته، وإن فصاحته كانت في مقدورهم لولا الصرف...

ويقول في موضع آخر:

متى رجع الانسان إلى نفسه، وكان معه أدنى معرفة بالتأليف المختار، وجد في كلام العرب ما يضاها القرآن في تأليفه...!!". (١١١) (١١٢)

نعوذ بالله من الخذلان، ونسأله تعالى الثبات على الحق، (رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ) (آل عمران: ٨).

(١٠٩) - الإلهيات جعفر السبحاني - المرجع السابق، ويُنظر: الاقتصاد للطوسي: (ص: ١٧٢).

(١١٠) - الإلهيات جعفر السبحاني، مرجع سابق، (ص: ٣٤١) نقلاً عن: أوائل المقالات - للمفيد: (ص: ٣١)، نقلاً

عن: بحار الأنوار للمجلسي: (١٣٧/٩٢)، نقلاً عن: الاقتصاد للطوسي: (ص: ١٧٢).

(١١١) - ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة: (ص: ٨٩ - ٢١٧).

(١١٢) - يُنظر: الصفرة دلالتها لدى القائلين بما وردود المعارضين لها د. سامي عطا الجيتاوي: (ص: ١٩) وما بعدها، من مبحث القائلين بالصفرة من أهل السنة، وقصده بأهل السنة كل الفرق المخالفة للشيعية كما هو مقرر معلوم عندهم.

ومما سبق يتبين لنا أن الصَّرْفَةَ وإن كانت نشأت في بيعة المعتزلة على يد النَّظَام ومن تابعه إلا أننا وجدنا طائفة من علماء أهل السنة، وبعض الظاهرية، والشيعة الإمامية، قالوا بها كذلك، وإن لم يوافقوا النَّظَام على ما ذهب إليه.

المطلب الخامس: خلاصة القول بالصَّرْفَةَ

يمكننا أن نتعرف من أقوال القائلين بالصَّرْفَةَ على أهم مذهبين:

المذهب الأول- مذهب النَّظَام ومن تبعه، فقد ذهبوا إلى أن العرب صُرفوا عن المعارضة أصلاً، ولم يتوجهوا إليها، ولو توجهوا لاستطاعوا أن يأتوا بمثل القرآن.

المذهب الثاني- وقال به الشريف المرتضى، وابن سنان الخفاجي، ومن تبعهما، فقد ذهبوا إلى أن الله سلب العرب علومهم التي يحتاجون إليها في معارضة القرآن، والإتيان بمثله، ولو توجهوا لمعارضته لما استطاعوا أن يأتوا بمثل القرآن.

ولا شك في أن كل القولين مردود.. ولا يقوم على قدم، ولا يستوى على ساق، وسنسوق بين يديك مصداقاً من البرهان التفصيلي على انتقاض ببيان هذه القضية بأدلة منها:

١- إجماع الأمة قبل ظهور القول بالصَّرْفَةَ على أن إعجاز القرآن ذاتي... وقد حكى القرطبي الإجماع في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن)، فقال بعد أن ذكر قول القائلين بالصَّرْفَةَ: " وهذا فاسد، لأن إجماع الأمة قبل حدوث المخالف: أن القرآن هو المعجز، فلو قلنا: أن المنع و الصَّرْفَةَ هو المعجز، لخرج القرآن عن أن يكون معجزاً، وذلك خلاف الإجماع، وإن كان كذلك، علم أن نفس القرآن هو المعجز، لأن فصاحته وبلاغته أمر خارق للعادة، إذ لم يوجد كلام قط على هذا الوجه، فلما لم يكن ذلك الكلام مألوفاً معتاداً منهم، دل على أن المنع والصَّرْفَةَ لم يكن معجزاً ". (١١٣)

٢- أن الله تعالى وصف القرآن بأوصاف ذاتية تجعله في منزلة لاتصل إليها معجزات أخرى، فكانت هذه توجب أن إعجازه ذاتياً، ولقد قال تعالى: (ولو أن قرآنًا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعاً) (الرعد: ٣١).

ويقول تعالى: (الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله. ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضل الله فما له من هاد) (الزمر: ٣٢).

(١١٣)- الجامع لحكام القرآن-لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: (ت: ٦٧١هـ) دار الكتب العلمية-

وإذا كان القرآن بهذه الأوصاف التي وصفه الله بها منزله - سبحانه وتعالى - أفيقال بعد ذلك أن
الناس يستطيعون أن يأتوا بمثله ؟ اللهم إن هذا بهتان عظيم. (١٤) . .

(١٤) - المعجزة الكبرى - القرآن - محمد أي زهرة - دار الفكر العربي بالقاهرة: (ص: ٧٤).

المبحث الثالث: ردُّ شبهة القولِ بالصَّرْفَةِ وبيان بطلانها

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: الرد على القائلين بالصَّرْفَةِ وبيان دلائل بطلانها

إذا رجعنا إلى المصدر الأصلي الذي أثبت إعجاز القرآن، وهو القرآن نفسه، واحتكمنا إليه في هذا؛ فإننا نجد أنه يثبت الإعجاز لذات القرآن، لا للصرف عنه وذلك من أوجه كثيرة نذكر منها: أولاً - أن الله قد تحداهم أن يأتوا بمثله، كما في قوله: (قل لمن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) (الإسراء: ٨٨) ومما ورد في سبب نزولها ما أخرجه ابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن سحران ونعيمان بن أصبي ومجزي بن عمر وسلام بن مشكم فقالوا: يا محمد هذا الذي جئت به حق من عند الله فإننا لا نراه متناسقاً كما تناسق التوراة فقال لهم: أما والله إنكم لتعرفون أنه من عند الله. (١١٥)

"فالقرآن معجز في النظم والتأليف والإخبار عن الغيوب وهو كلام في أعلى طبقات البلاغة لا يشبه كلام الخلق لأنه غير مخلوق ولو كان مخلوقاً لأتوا بمثله". (١١٦)

ف لو اجتمعت الإنس والجن كلهم، واتفقوا على أن يأتوا بمثل ما أنزله على رسوله ، لما أطاقوا ذلك ولما استطاعوه، ولو تعاونوا وتساعدوا وتظافروا، فإن هذا أمر لا يستطيع، وكيف يشبه كلام المخلوقين كلام الخالق، الذي لا نظير له ولا مثال له، ولا عدل له؟! (١١٧) والاجتماع المذكور هنا في آية الإسراء إنما هو:

"اجتماع تظافر على عمل واحد ومقصد واحد، وهذه الآية مفحمة للمشركين في التحدي بإعجاز القرآن". (١١٨)

فإن الله تعالى نص على أن الإنسان والجن لو اجتمعوا ليعارضوه لم ولن يستطيعوا أن يأتوا بمثله. فلو كان الإعجاز بالصَّرْفَةِ لقليل: " لو اجتمعوا لما انعقدت لهم عزيمة على الإتيان بمثله أو لو اجتمعوا

(١١٥) - الدر المنثور في التفسير بالمأثور: (٤٤٢/٩)

(١١٦) - تفسير البغوي: (١٢٧/٥).

(١١٧) - تفسير ابن كثير: (١١٧/٥).

(١١٨) - التحرير والتنوير: (٣٠٢/١٦).

لما اتجهت هممهم ولا همة واحد منهم إلى هذا الأمر. ولم يرد مثل هذا بحال. وإنما نص القرآن على أنهم لا يأتون بمثله ولو تضافت جهودهم وتآزرت مساعيهم، فدل على أن التحدي إنما وقع بنفس القرآن وأن الإعجاز قائم في ذاته.

قال السيوطي رحمه الله تعالى بعد ذكره آية التحدي في الإسراء:

"فإنه يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم، ولو سلبوا القدرة لم يبق لهم فائدة لاجتماعهم، لمنزلته منزلة اجتماع الموتى، وليس عجز الموتى مما يحتفل بذكره، هذا مع أن الإجماع منعقد على إضافة الإعجاز إلى القرآن، فكيف يكون معجزًا وليس فيه صفة إعجاز بل المعجز هو الله تعالى حيث سلبهم القدرة على الإتيان بمثله". (١١٩)

ونظير ذلك قوله تعالى: (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين. فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين) (البقرة: ٢٣-٢٤).

قال ابن كثير - رحمه الله - :

"ثم شرع تعالى في تقرير النبوة بعد أن قرر أنه لا إله إلا هو، فقال مخاطبًا للكافرين: (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا) [البقرة : ٢٣] يعني محمدًا فأتوا بسورة من مثل ما جاء به:، إن زعمتم أنه من عند غير الله فعارضوه بمثل ما جاء به، واستعينوا على ذلك بمن شئتم من دون الله، فإنكم لا تستطيعون ذلك، وقد تحداهم الله تعالى بهذا في غير موضع من القرآن، فقال في سورة القصص: (قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين) [القصص : ٤٩] وقال في سورة سبحان: (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا) [الإسراء : ٨٨] وقال في سورة هود: (أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين) [هود : ١٣] وقال في سورة يونس: (وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة من مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين) [يونس : ٣٧، ٣٨] وكل هذه الآيات مكية، ثم تحداهم بذلك أيضًا في المدينة فقال في هذه الآية: (وإن كنتم في ريب) أي شك (مما نزلنا على عبدنا) يعني محمدًا صلى الله عليه وسلم (فأتوا بسورة من

(١١٩) - الإتيان: (١٠٠٦/٢).

مثله) يعني من مثل القرآن، فتحداهم كلهم متفرقين ومجتمعين سواء في ذلك أميهم وكتابيهم، وقد تحداهم بهذا في مكة والمدينة مرات عديدة مع شدة عداوتهم له وبغضهم لدينه ومع هذا أعجزوا عن ذلك". (١٢٠)

فدلت هذه الآية ونظائرها على أن القرآن معجز بنفسه لمزايا وخصائص استقرت فيه، تقصر طاقة البشر وقدرتهم عن مضاهاتها، لذلك ورد التحدي بالقرآن ذاته.

ثانياً - لو كان العجز بالصَّرْفَةِ لكان مقتضى الحكمة إنزال القرآن في مستوى بلاغي قريب المتناول - لا في الدرجة القصوى من البلاغة والفصاحة - لتظهر عظمة المعجزة في المنع من مثله والصرف عنه. وهذا يخالف ما ورد في القرآن من أوصاف له تشيد بعظمة بيانه وسموه، فهو الكتاب المبين؛ والقرآن المجيد؛ وفيه الآيات البينات، وهو النور، والنور المبين؛ والكتاب المنير؛ وفيه الهدى والنور وشفاء لما في الصدور....

ثالثاً - ومن الدلائل التي تثبت إعجاز أسلوب القرآن ما ورد في القرآن نفسه من الآيات الدالة على قوة تأثيره في النفوس. وقد بلغ من تأثيره في نفوس الكافرين ما حملهم على التواصي على الإعراض عنه، كما ذكره الله عنهم

(وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون) (فصلت : ٢٦).

فقد نفذ صبرهم عن الصمود لاستماعه لمبلغ تأثيره فيهم وخشيتهم منه على أتباعهم وأنفسهم. ووصف الله تأثيره في نفوس المؤمنين فقال سبحانه: (الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله. ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضل الله فما له من هاد) (الزمر: ٢٣).

قال أحد زعماء المشركين وهو الوليد بن المغيرة: " فو الله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني ولا أعلم برجز ولا قصيدة مني ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا. ووالله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى عليه وإنه ليحطم ما تحته". (١٢١)

(١٢٠) - تفسير القرآن العظيم (١/٥٩-٦٠) بتصرف.

(١٢١) - يُنظر: المستدرك على الصحيحين للنيسابوري - كتاب التفسير - تفسير سورة المدثر - مدح كلام الله من لسان الكافر: مسألة: (١٥٠٦)، (٣٩٢٦)، قال النيسابوري: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه.، ورواه الحاكم: في كتاب التفسير (٣٨٧٢) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي، وصححه الألباني، يُنظر: صحيح السيرة النبوية ص ١٥٩. وضعفه الذهبي وحكم عليه بالإرسال كما في

وهذه دلالة واضحة على أن الإعجاز في القرآن نابع من نظمه وذاته من اعتراف بلغاء المشركين والفضل ما شهدت به الأعداء.

ومثل الوليد بن المغيرة فعل نده من المشركين عتبة بن ربيعة إذ قال لقومه: " إني سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط. والله ما هو بالسحر ولا بالشعر ولا بالكهانة واجعلوها لي، خلوا بين الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فو الله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ...". (١٢٢)

ولو لم يكن الإعجاز نابغاً من ذات القرآن وجهته، وليس من حائل خارجي يمسخهم عن القول إمساكاً ملزماً، لما استعظموا القرآن هذا الاستعظام ووصفوه بما وصفوه، غير أنهم أحسوا أن القرآن فوق ما سمعوا وما يستطيعونه من الكلام روعة وجلالاً وجمالاً في ألفاظه ومعانيه.

دلائل أخرى تنفي القول بالصرفة:

أولاً- يلزم من قولهم إن العرب قد صرفوا عن هذا المستوى فحيل بينهم وبينه بحيث لم يحاولوه قط؛ أن حالهم في البلاغة والبيان وجودة النظم وشرف اللفظ قد تراجعت، فنقصت قرائحهم وأذهانهم وعدموا كثيراً مما كانوا يستطيعونه. وبالتالي فإنه يلزم منه أيضاً أن أشعارهم التي قالوها وخطبهم التي قاموا بها وكل تعابيرهم بعد الوحي جاءت قاصرة عما سمع منهم من قبل، فضاقت عليهم مجال كان متسعاً، ونضبت مواردهم التي كانت غزيرة، وخذلتهم قوى كانوا بها يصلون. وبناء عليه فلا بد أن تخرج أشعار شعراء النبي التي امتدحوه بها ونددوا بالمشركين ناقصة متقاصرة عن شعرهم الجاهلي!؟ وبالتالي فإن التساؤل يدخل على هؤلاء القوم في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت (اهجهم - أو هاجهم - وجبريل معك) (١٢٣) فكيف يكون مؤيداً بعون الله في حين أن الله يعدمه كثيراً من المواهب والقدرة التي كان يتمتع بها قبل!؟

تاريخ الإسلام: (١٥٤/١) وقال: روي مرسلًا، وضعفه كذلك مقبل بن هادي الوادعي في صحيح أسباب النزول: (٢٦٢/١). وثبوت الأثر عند الباحث محل نظر، لوجود اضطراب لدى المحققين في ثبوته وصحته. (١٢٢)- وأثر: عتبة بن ربيعة ضعيف: وقد أخرج قصة عتبة بن ربيعة ابن إسحاق فيما ذكر ابن هشام (٢٩٣/١-٢٩٤) ومن طريقه البيهقي في دلائل النبوة (٢٠٤/٢-٢٠٥). حديث رقم: (٥٣٦)، الاعتقاد إلى سبيل الرشاد للبيهقي: حديث رقم: (٢٦٢). والأثر: إسناده ضعيف لأن به موضع إرسال، وفيه أحمد بن عبد الجبار العطاردي وهو ضعيف الحديث.

(١٢٣)- رواه الشيخان: البخاري، كتاب الأدب، باب هجاء المشركين، (٧ / ١٠٧) وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه، (٤ / ١٩٣٣)، وغيرهما...

وينبني على قولهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد تقاصرت بلاغته أيضًا والذي يحكم به علماء اللغة والأدب - وهو حقيقة لا مرية فيها - أن آداب العرب زمن بعثة محمد صلى الله عليه وسلم لم تكن قاصرة عن آداب الجاهلية بحال. بل إن الأمر أكثر من هذا فقد نزل القرآن بلغة فيها من قوة البيان والبلاغة والفصاحة، ما أشرفت بها للعرب بياهم، وارتقت بها بلاغتهم، وأثمرت ثمارًا طيبة لم يكن للعرب قبل الإسلام بها عهد.

ثانيًا - إن إجماع المسلمين قد انعقد على إضافة الإعجاز إلى القرآن، قبل خلاف المخالفين، فهذا دال على إجماعهم على أن الإعجاز نابع من ذات القرآن لا من أمر خارج عنه. ثالثًا - أنه خابت محاولات بعض الأعداء لمعارضة القرآن، كالذي فعله مسيلمة الكذاب وسُجَّاح^(١٢٤). وإذا كان كلامهم الذي أتوا به عُرَّةً في جبينهم أبد الدهر وخزيًا لهم؛ فإنه ينفي الصَّرْفَةَ، لأنها تعني أنهم صرفت همهم عن معارضة القرآن! وفي الواقع أن محاولة المعارضة قد حصلت!! فلو كان ثمة صرفة لما أظهر هؤلاء من الكلام ما زعموا أنه معارض للقرآن. رابعًا - أنهم يوردون علينا استدلالًا على الصَّرْفَةِ: أن العرب بلغاء فصحاء، وكان بعضهم يتقن نظم كلمتين بديعتين في جملة كلامية تبلغان طبقة من البلاغة جد عالية فلو أن الواحد منهم ضم ما جادت به القرية ثانيًا إلى الأول وهكذا.. يتكامل له بعد حين، قدر سورة من القرآن. والجواب: أن من قدر على الكلام البليغ العالي ليس لازمًا أن يقدر على معارضة أبلغ كلام على الإطلاق.. فإن الأمر يحتاج إلى ملكة في هذا المستوى العالي قادرة على السبك المبدع والتنسيق الفائق بحيث تبلغ المستوى القرآني، وهذا ما يتجاوز وسع المخلوقات. ثم إن التلفيق بين جمل متناثرة، جادة بها القرائح في موضوعات ودواعي مختلفة؛ لا يقدم أسلوبًا أدبيًا متماسكًا محكمًا يرضى عنه الأدباء، فكيف يسوغ الزعم بأنه معارض للقرآن!؟.

خامسًا: وإذا كان القول بالصَّرْفَةِ قد عزى للنظام من المعتزلة، فليس من شك أن من أبلغ الردود لمذهب الصَّرْفَةِ ما ورد على لسان علم من مشاهير المعتزلة. وهو جواب القاضي عبد الجبار لمن زعم: أن الله قد منع العرب من هذا القدر من الفصاحة والبلاغة حين أنزل القرآن؛ قال: "فقد كان يجب أن يكون قدر القرآن في الفصاحة قدر ما جرت به العادة من قبل، وإنما منعوا

(١٢٤) - سُجَّاح بنت الحارث بن سويد بن عقفان امرأة نجدية من بني تميم. ادعت النبوة في الردة وتبعها قوم ثم صالحت مسيلمة وتزوجته ثم بعد قتله عادت إلى الإسلام فأسلمت وعاشت إلى خلافة معاوية ذكر ذلك صاحب التاريخ المظفرى: (٨/ ١٩٨). ويُنظر: الإصابة في تمييز الصحابة: رقم: (١١٣٦١) (ص: ١٠٢).

من مثله في المستقبل، ولو كان كذلك لم يكن المعجز هو القرآن، لكونه مساوياً لكلامهم، ولتتمكنهم من قبل من فعل مثله في قدر الفصاحة. وإنما كان يكون المعجز ما حدث منهم من المنع. فكان التحدي يجب أن يقع بذلك المنع لا بالقرآن، حتى لو لم ينزل الله تعالى القرآن، ولم يظهر أصلاً، وجعل دليل نبوته امتناع الكلام عليهم على الوجه الذي اعتادوه، لكان وجه الإعجاز لا يختلف. وهذا مما نعلم بطلانه باضطرار، لأنه صلى الله عليه وسلم تحدى بالقرآن وجعله العمدة في هذا الباب، على أن ذلك لو صح لم يقدح في صحة نبوته، لأنه كان يكون بمنزلة أن يقول صلى الله عليه وسلم: " دلالة نبوتي أنني أريد المشي في جهة فيتأتى لي على العادة وتريدون المشي فيتعذر عليكم.

فإذا وجد الأمر كذلك دل على نبوته، لكون هذا المنع على هذا الوجه ناقضاً للعادة".

سادساً - على أنهم لو صُرفوا، كما زعم القائلون، فإن من كان قبلهم من أهل الجاهلية لم يخاطبوا بالتحدي ولم يصرفوا عما يعدل القرآن فصاحة وبلاغة وحسن نظم وروائع وصف، فهلا جاءونا بشيء من أقوالهم يساويه في ذلك؟ فإذا عجزوا عن استخراج ذلك لعدم وجوده أصلاً، فقد انكشف أن قولهم بالصَّرْفَةِ فاضح البطلان. (١٢٥)

سابعاً - ومن أهم الأدلة على بطلان القول بالصَّرْفَةِ أن أهل الصنعة البلاغية إذا سمعوا كلاماً يطمعون في مجاراته لم يخف عليهم ولم يشتهب لديهم، فلا بد أن يحاولوا مباراته! كيف وقد تضافرت عليهم دوافع عديدة من سب آلهتهم وتسفيه عقول آبائهم ومطالبتهم بالإتباع مما يذهب بزعامتهم ومصالحهم..؟!؟

وكيف يلزمون الصمت مع القدرة على المباراة؟ وقد تحداهم عشرين سنة بشيء من صناعتهم التي فاقوا بها وافتخروا، مع تفرعهم بالعجز مراراً وتكراراً، وهم مضرب المثل في الحمية والأنفة وإباء الضيم.

لو أنهم أحسوا بالحيلولة والحجز لدرأوا عن أنفسهم وصمة العجز، فإنه ليس معتاداً في بني الإنسان قاطبة - فضلاً عما ذكرنا أوصافهم من العرب - أن يذعن الواحد لخصمه فيستكين له ويلقي

(١٢٥) - حكى القرطبي أن بعض أصحاب الصرفة زعموا أن العرب صرفوا عن القدرة على القرآن ولو تعرضوا له لعجزوا عنه، وأن البعض الآخر زعموا أن العرب صرفوا عن التعرض للقرآن مع كونه في مقدورهم، ولو تعرضوا له لجاز أن يقدروا عليه، بمعنى أنهم لم يأتوا بمثله سابقاً، غير أنه لا يخرج عن حدود قدرتهم لولا أنه حيل بينهم وبين ممارسة ذلك الاقتدار.

يُنظر: الجامع لأحكام القرآن: ٧٦/١

بيديه ويسكت عن التقريع بالعجز أمداً بعيداً. فلما لم يؤثر عنهم مثل ذلك التشكي والتضجر دل ذلك على أنه لا أصل لما انصرف إليه أصحاب الصرفة واهمين.

قال الجرجاني^(١٢٦) رحمه الله تعالى:

" وما يلزمهم على أصل المقالة أنه كان ينبغي له إن كانت العرب منعت منزلة من الفصاحة قد كانوا عليها؛ أن يعرفوا ذلك من أنفسهم كما قدمت. ولو عرفوه لكان يكون قد جاء عنهم ذكر ذلك من أنفسهم كما قدمت. ولو عرفوه لكان يكون قد جاء عنهم ذكر ذلك. ولكانوا قد قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: إنا كنا نستطيع قبل هذا الذي جئتنا به. ولكنك قد سحرتنا واحتلت في شيء حال بيننا وبينه. فقد نسبوه إلى السحر في كثير من الأمور كما لا يخفي. وكان أقل ما يجب في ذلك أن يتذكروه فيما بينهم. ويشكوه البعض إلى البعض ويقولوا مالنا قد نقصنا من قرائننا وقد حدث كلول في أذهاننا.. فبقي أن لم يُرَو ولم يذكر أنه كان منهم قول في هذا المعنى لا ما قلَّ ولا ما كثر، دليل أنه قول فاسد ورأي ليس من آراء ذوي التحصيل".^(١٢٧)

فهذا كله يجعل القول بالصَّرْفَة باطلاً داحضاً يستوجب الانصراف عنه.

ثم يقول في موضع آخر رحمه الله:

".... لو لم يكن عجزهم عن معارضة القرآن وعن أن يأتوا بمثله، لأنه معجز في نفسه إلا أن أدخل عليهم العجز عنه، وصرفت همهم وخواطرهم عن تأليف كلام مثله، وكان حالهم حال من أُعدم العلم بشيء قد كان يعلمه، وحيل بينه وبين أمر قد كان يتسع له، لكان ينبغي أن لا يتعاطمهم؛ ولا يكون منهم ما يدل على إكبارهم أمره، وتعجبهم منه، وعلى أنه قد بهرهم، وعظم كل العظم عندهم، بل كان ينبغي أن يكون الإكبار منهم والتعجب للذي دخل من العجز عليهم، ورأوه من تغير حالهم، ومن أن حيل بينهم وبين شيء قد كان عليهم سهلاً، وأن سُدَّ دونهم باب كان لهم مفتوحاً، أرأيت لو أن نبياً قال لقومه: (إن آيتي أن أضع يدي على رأسي هذه الساعة، وتمنعون كلكم من أن تستطيعوا وضع أيديكم على رؤوسكم)، وكان الأمر كما قال، ممَّ يكون تعجب القوم، أمّن وضعه يده على رأسه، أم من عجزهم أن يضعوا أيديهم على رؤوسهم؟)^(١٢٨)

(١٢٦) - قال الإمام الذهبي: كان شافعيّاً، عالماً، أشعريّاً، ذا نسكٍ ودين. سير أعلام النبلاء - (٣٥ / ص ٤٠٤).

(١٢٧) - الرسالة الشافية: (ص: ١٣٥).

(١٢٨) - دلائل الإعجاز في علم المعاني: (ص: ٣٩٠).

يقول الباقلاني:

"وأخيراً فإن الصَّرْفَةَ تصور القرآن معجزة حسية معقدة خفية. فلو كان المراد الإعجاز الحسي لما كان ثمة داع لجعله مصحوباً بتلك الصورة الكلامية مع التحدي بها. فذلك نمط مُرْبِكٌ عسير الإدراك، يُستغنى عنه بأهون شيء يقطع ما بين النبي صلى الله عليه وسلم وقومه من جدل ومعاينة". (١٢٩)

المطلب الثاني: أقوال العلماء في رد القول بالصَّرْفَةِ وبيان بطلانها

١ - شيخ الإسلام بن تيمية:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"ومن أضعف الأقوال - أي في إعجاز القرآن - قول من يقول من أهل الكلام: إنه معجز بصرف الدواعي مع تمام الموجب لها، أو بسلب القدرة التامة، أو بسلبهم القدرة المعتادة في مثله سلباً عاماً، مثل قوله تعالى لذكريا: (... آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليالٍ سوياً) (مريم: ١٠) وهو أن الله صرف قلوب الأمم عن معارضته مع قيام المقتضي التام فإن هذا يقال على سبيل التقدير والتنزيل، وهو أنه إذا قدر أن هذا الكلام يقدر الناس على الإتيان بمثله، فامتناعهم جميعهم عن هذه المعارضة مع قيام الدواعي العظيمة إلى المعارضة من أبلغ الآيات الخارقة للعادات بمنزلة من يقول: إني آخذ أموال جميع أهل هذا البلد العظيم، وأضربهم جميعهم، وأجوعهم، وهم قادرون على أن يشكوا إلى الله، أو إلى ولي الأمر، وليس فيهم - مع ذلك - من يشتكي، فهذا من أبلغ العجائب الخارقة للعادة.

ولو قدر أن واحداً صنّف كتاباً يقدر أمثاله على تصنيف مثله، أو قال شعراً، يقدر أمثاله أن يقولوا مثله، وتحداهم كلهم، فقال: عارضوني، وإن لم تعارضوني فأنتم كفار، مأواكم النار، ودمائكم لي حلال، امتنع في العادة أن لا يعارضه أحد. فإذا لم يعارضوه كان هذا من أبلغ العجائب الخارقة للعادة.

والذي جاء بالقرآن قال للخلق كلهم: أنا رسول الله إليكم جميعاً، ومن آمن بي دخل الجنة، ومن لم يؤمن بي دخل النار، وقد أبيع لي قتل رجالهم، وسي ذراريتهم، وغنيمة أموالهم، ووجب عليهم كلهم

(١٢٩) - إعجاز القرآن للباقلاني ص ٢٩ - ٣٠ وبيان إعجاز القرآن للخطابي ص ٢٠ - ٢١. ويُظن: إعجاز القرآن للرافعي: (ص: ١٦٢).

طاعتي، ومن لم يطعني كان من أشقى الخلق، ومن آياتي هذا القرآن، فإنه لا يقدر أحد على أن يأتي بمثله، وأنا أخبركم أن أحدًا لا يأتي بمثله.

فيقال: لا يخلو إما أن يكون الناس قادرين على المعارضة أو عاجزين.

فإن كانوا قادرين، ولم يعارضوه، بل صرف الله دواعي قلوبهم، ومنعها أن تريد معارضته مع هذا التحدي العظيم، أو سلبهم القدرة التي كانت فيهم قبل تحديه، فإن سلب القدرة المعتادة أن يقول رجل:

معجزتي أنكم كلكم لا يقدر أحد منكم على الكلام ولا على الأكل والشرب، فإن المنع من المعتاد كإحداث غير المعتاد - فهذا من أبلغ الخوارق.

وإن كانوا عاجزين، ثبت أنه خارق للعادة، فثبت كونه خارقًا على تقدير النقيضين؛ النفي والإثبات. فثبت أنه من العجائب الناقضة للعادة في نفس الأمر". (١٣٠)

وكلام شيخ الإسلام ابن تيمية أنفًا يدل على أنه يرد القول بالصرفة ولا يقبله، بل ويعتبره من أضعف ما قيل في بيان أوجه الإعجاز، وهو في ضوء كلامه أنفًا لا يقبله إلا على سبيل التنزل مع المخالف.

ولذا قال في محض كلامه: (فهذا غاية التنزل، وإلا فالصواب المقطوع به أن الخلق كلهم عاجزون عن معارضته، لا يقدرون على ذلك، ولا يقدر محمد صلى الله عليه وسلم نفسه من تلقاء نفسه على أن يبدل سورة من القرآن، بل يظهر الفرق بين القرآن وسائر كلامه لكل من له أدنى تدبر...). (١٣١)

٢ - الباقلاني:

قال الباقلاني الأشعري:

"وما يبطل القول بالصرفة أنه لو كانت المعارضة ممكنة، وإنما منع منها الصرفة، لم يكن الكلام معجزًا، وإنما يكون المنع معجزًا فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره في نفسه، وقال أيضًا: وليس هذا بأعجب من قول فريق منهم أن الكل قادرين على الإتيان بمثله، وإنما تأخروا عنه لعدم العلم

(١٣٠) - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: (٤٢٩/٥).

(١٣١) المرجع السابق نفسه: (٤٣١ / ٥)

بوجه ترتيب لو تعلموه لوصلوا إليه به ولا بأعجب من قول آخرين، أن العجز وقع منهم، وأما من بعدهم ففي قدرته الإتيان بمثله، وكل هذا لا يعتد به". (١٣٢).

وقال أيضاً:

"فإن قيل: فلم زعمتم أنّ البلغاء عاجزون عن الإتيان بمثله مع قدرتهم على صنوف البلاغات وتصرفهم في أجناس الفصاحات، وهلاً قلت: إنّ من قدر على جميع هذه الوجوه بوجه من هذه الطرق الغريبة كان على مثل نظم القرآن قادراً، وإنما يصرفه عنه ضرب من الصرف، أو يمنعه من الإتيان بمثله ضرب من المنع، أو تقصر دواعيه إليه دونه مع قدرته عليه ليتكامل ما أَرَادَهُ اللهُ تعالى من الدلالة، ويحصل ما قصده من إيجاب الحجة؛ لأن من قدر على نظم كلمتين بديعتين لم يعجز عن نظم مثلهما، وإذا قدر على ذلك على ضمّ الثانية إلى الأولى، وكذلك الثالثة حتى يتكامل قدر الآية والسورة.

ونرى من هذا أنّ القائلين بهذا القول يشككون في مرتبة القرآن وكونه من عند الله تعالى من غير أن يقدموا دليلاً، بل إنّ القصد الذي يبدو من لحن القول والدعوى هو التشكيك المجرد في علو البلاغة القرآنية، ومن وراء ذلك التشكيك ما يريدون من توهين ثم دعاوي بأنه من صنع محمد صلى الله عليه وسلم، وهكذا يسير الخط من الاحتمالات تنافي الواقع إلى توهين لأمر القرآن، إلى ادّعاء أنه ليس من عند الله". (١٣٣)

٣- الخطابي:

أما الخطابي فقد رد القول بالصرف بعد أن بين معناها ووضح مفهومها ومقصدها عند من قال بها، ثم عقب ذلك بقوله:

"... لأن دلالة الآية تشهد بخلافه، وهي قوله سبحانه {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً} [الإسراء، ٨٨]، فأشار في ذلك إلى أمر طريقة التكلف والاجتهاد، وسبيله التأهب والاحتشاد، والمعنى في الصرفة التي وصفوها لا يلاءم هذه الصفة، فدل على أن المراد غيرها والله أعلم (١٣٤).

(١٣٢)- إعجاز القرآن للباقلاني: (ص: ٢٤).

(١٣٣)- المرجع السابق: (ص: ٢٥).

(١٣٤)- الخطابي، بيان إعجاز القرآن، ص ٢٣.

والخطابي هنا يرد الصَّرْفَة ويرد على القائلين بما بحجية آية التحدي في الإسراء، ومع ذلك فإن القائلين بما استدلوا بنفس الآية مع إنها حجة عليهم لا لهم، والخطابي حينما يستدل بآية الإسراء التي هي عمدة الاستدلال كأنه يشير إلى أن الآية واضحة الدلالة وواضحة المعاني لا تحتاج لزيادة تأويل.

٤- الإيجي:

يقول الإيجي: "لو سلبوا القدرة - أي العرب - كما قال به - الشريف الرضي - لعلموا ذلك من أنفسهم ولتناطقوا به عادة وتواتر عنهم ذلك التناطق لجريان العادة بالتحدث بخوارق العادات لكنه لم يتواتر قطعاً".^(١٣٥)

٥- الزركشي

أما الزركشي فيقول في " البرهان " في محض كلامه عن إبطال الصَّرْفَة والرد على النَّظَام ما يلي: "إن الله صرف العرب عن معارضته وسلب عقولهم وكان مقدورا لهم لكن عاقبهم أمر خارجي فصار كسائر المعجزات وهو قول فاسد بدليل قوله تعالى: {قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً} (الإسراء: ٨٨) فإنه يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم ولو سلبوا القدرة لم يبق فائدة لاجتماعهم لمنزلة منزلة اجتماع الموتى وليس عجز الموتى بأكبر يحتفل بذكره هذا مع أن الإجماع منعقد على إضافة الإعجاز إلى القرآن فكيف يكون معجزاً غيره وليس فيه صفة إعجاز بل المعجز هو الله تعالى حيث سلبهم قدرتهم عن الإتيان بمثله وأيضا يلزم من القول بالصَّرْفَة فساد آخر وهو زوال الإعجاز بزوال زمان التحدي وخلو القرآن من الإعجاز وفي ذلك خرق لإجماع الأمة فإنهم أجمعوا على بقاء معجزة الرسول العظمى ولا معجزة له باقية سوى القرآن وخلوه من الإعجاز يبطل كونه معجزة".^(١٣٦)

٦- الرافي:

وعلى الجملة فإن القول بالصَّرْفَة لا يختلف عن قول العرب فيه " يقول الرافي: (إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ) (المدثر: ٢٤)، وهذا زعم رده الله على أهله، وأكذبهم فيه، وجعل القول به ضرباً من العمى.. (أَفْسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ) (الطور: ١٥)

(١٣٥) - الإيجي، عبد الرحمن بن أحمد، المواقف، دار الجيل - بيروت، (ط / ١، ١٩٩٧) تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، (ج ٣، ص ٣٩٧).

(١٣٦) - الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (ج ٢، ص ٩٤).

فاعتبر ذلك بعضه ببعضه فهو كالشيء الواحد " . (١٣٧)

وهذا القول: (يعني القول بالصرفة) باطل من وجوه:

الوجه الأول: إنه لو صح لكان الإعجاز في الصرفة لا في القرآن ذاته، وهو باطل بالإجماع
الوجه الثاني: إنه لو صح لكان تعجيزاً لا إعجازاً؛ لأنه يكون بمثابة ما لو قطعنا لسان إنسان
وكلفناه بالكلام، فهو من باب التعجيز وليس من باب العجز.

الوجه الثالث: قوله تعالى: (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ
بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) (الإسراء: ٨٨)، فإنه يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم، ولو
سلبوا القدرة لم يبق فائدة لاجتماعهم فإنه يصبح بمنزلة اجتماع الموتى، وليس عجز الموتى بالأمر
الكبير الذي يُحتفل بذكره " . (١٣٨)

وإن رواج تلك الفكرة يؤدي إلى أمرين

أولهما: إنَّ القرآن الكريم ليس في درجة من البلاغة والفصاحة تمنع محاكاته، وتعجز القدرة البشرية
عن أن تأتي بمثله، فالعجز ليس من صفات القرآن الذاتية.

وثانيهما: الحكم بأنه ككلام الناس لا يزيد عليه شيء في بلاغته، أو في معانيه. (١٣٩).

٧- الجرجاني:

و الجرجاني ممن قال ببطلان الصرفة في " الشافية "

و يرد على من حصر التحدي في إعجاز القرآن في النظم واللفظ والمعنى فحسب فيقول:

"....فإن قلت: فكيف الكلام عليهم، إذا ذهبوا في " الصرفة " إلى الوجه الآخر، فزعموا أن
التحدي كان أن يأتوا في أنفس معاني القرآن بمثل نظمه ولفظه؟ وما الذي دل على فساده؟ فإن
على فساد ذلك أدلة منها قوله تعالى: { أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ }
[هود: ١٣]، وذاك أنا نعلم أن المعنى: فأتوا بعشر سور تفترونها أنتم وإذا كان المعنى على ذلك،
فبنا أن ننظر في الافتراء إذا وصف المعنى، وإذا لم يرجع إلا إلى المعنى وجب أن يكون المراد: إن
كنتم تزعمون أنني قد وضعت القرآن وافتريته، وجئت به من عند نفسي، ثم زعمت أنه وحي من

(١٣٧) - إعجاز القرآن للرافعي: (ص: ١٠٣).

(١٣٨) - يُنظر: محاضرات في علوم القرآن: (ص: ١٦٩) ل: أ.د. صلاح الصاوي ود. محمد سالم

(١٣٩) - المعجزة الكبرى القرآن: (ص: ٨).

الله، فعضوا^(١٤٠) أنتم أيضاً عشر سور وافتروا معانيها كما زعمتم أي افتريت معاني القرآن^(١٤١)، وفي موضع آخر يقول في رده على الشريف الرضي الشيعي بقوله:

"...أنه كان ينبغي لهم لو أن العرب كانت منعت منزلة من الفصاحة قد كانوا عليها أن يعرفوا ذلك من أنفسهم، كما قدمت، ولو عرفوا لكان يكون قد جاء عنهم ذكر ذلك، ولكانوا قد قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: "إنا كنا نستطيع قبل هذا الذي جئتنا به، ولكنك قد سحرتنا، واحتلت في شيء حال بيننا وبينه"، فقد نسبوه إلى السحر في كثير من الأمور، كما لا يخفى، وكان أقل ما يجب في ذلك أن يتذكروه فيما بينهم، ويشكوه البعض إلى البعض، ويقولوا: "ما لنا قد نقصنا في قرائحنا، وقد حدث كلول في أذهاننا" ففي أن لم يرو ولم يذكر أنه كان منهم قول في هذا المعنى، لا ما قل ولا ما كثر، دليل [على] أنه قول فاسد، ورأى ليس من آراء ذوى التحصيل^(١٤٢).

وفي موضع آخر من "الشافية" في محض دفاعه عن إعجاز القرآن والرد على القائلين بالصرفة بما جاء عن العرب في شأن القرآن من أخبار فيقول أيضاً:

"ومنها الأخبار التي جاءت عن العرب في تعظيم شأن القرآن وفي وصفه بما وصفوه به من نحو: "إن عليه لطلاوة، وإن له لحلاوة، وإن أسفله لمغدق، وإن أعلاه لمثمر"^(١٤٣)، وذلك أن محالاً أن يعظموه، وأن يبهتوا عند سماعه، ويستكينوا له، وهم يرون فيما قالوه وقاله الأولون ما يوازيه، ويعلمون أنه لم يتعذر عليهم لأنهم لا يستطيعون مثله^(١٤٤).

ويقول في موضع آخر من "الشافية" في نهاية قوله بإبطال الصرفة والرد على قائلها أيضاً:

"....ينبغي أن يقال: ما هذا الذي أخذتم به أنفسكم؟ وما هذا التأويل منكم في عجز العرب عن

(١٤٠) - "عضوا" من الاستعاضة - استعاضة (اسم) مصدر استعاضن - يجب الاستعاضة عن ذلك بشيء آخر: أن تجعل في مكانه شيئاً آخر. يُنظر: معجم المعاني الجامع: مادة استعاضة.

(١٤١) - الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر، بن عبد الرحمن، الرسالة الشافية، ضمن ثلاث رسائل في أعجاز القرآن، دار المعارف - مصر، (ط: ٣، ١٩٧٦ م) (ت: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام)، ص ١٥٠
(١٤٢) - السابق، ص ١٤٨ - ص ١٤٩.

(١٤٣) - يُنظر: المستدرك على الصحيحين للنيسابوري - كتاب التفسير - تفسير سورة المدثر - مدح كلام الله من لسان الكافر: مسألة: (١٥٠٦)، (٣٩٢٦)، قال النيسابوري: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه. وقد سبق تخريجه بطوله كذلك في المبحث الثالث: ردُّ شبهة القول بالصرفة وبيان بطلانها. وقلنا في نهاية تخريجه: أن ثبوت الأثر عند الباحث محل نظر، لوجود اضطراب لدى المحققين في ثبوته وصحته.
(١٤٤) - السابق، ص ١٥٢.

معارضة القرآن؟ وما دعاكم إليه؟ وما أردتم منه؟ أن يكون لكم قول يحكى، وتكونوا أمة على حدة، أم قد أتاكم في هذا الباب علم لم يأت الناس؟

فإن قالوا: أتانا فيه علم.

قيل: أفمن نظر ذلك العلم أم خبر؟

فإن قالوا: من نظر.

قيل لهم: فكأنكم تعنون أنكم نظرتم في نظم القرآن ونظم كلام العرب ووازنتم فوجدتموه لا يزيد إلا بالقدر الذي لو خلوا والاجتهاد وإعمال الفكر، ولم تفرق عنهم خواطرهم عند القصد إليه، والمقصد له لأتوا بمثله؟

فإن قالوا: كذلك نقول.

قيل لهم: فأنتم تدعون الآن أن نظركم في الفصاحة نظر لا يغيب عنه شيء من أمرها، وأنكم قد أحطتم علمًا بأسرارها، وأصبحتم ولكم فيها فهم وعلم لم يكن للناس قبلكم.

وإن قالوا: عرفنا ذلك بخبر.

قيل: فهاتوا عرفونا ذلك، وأني لهم تعريف ما لم يكن، وتثبيت ما لم يوجد!

ولو كان الناس إذا عن لهم القول نظروا في موداه، وتبينوا عاقبته، وتذكروا وصية الحكماء حين نھوا عن الورود حتى يعرف الصدر، وحذروا أن تجيء أعجاز الأمور بغير ما أوهمت الصدور إذا لكفوا البلاء، ولعدم هذا وأشباهه من فاسد الآراء، ولكن يأتي الذي في طباع الإنسان من التسرع، ثم من حسن الظن بنفسه، والشغف بأن يكون متبوعًا في رأيه، إلا أن يخدعه وينسبه أنه موصى بذلك، ومدعو إليه، ومحذر من سوء المغبة إذا هو تركه وقصر فيه. وهي الآفة لا يسلم منها ومن جنائتها إلا من عصم الله. وإليه عز اسمه الرغبة في أن يوفق للتي هي أهدى، ويعصم من كل ما يوتع الدين، ويثلم اليقين، إنه ولي ذلك والقادر عليه^(١٤٥).

وقال أيضًا:

"إنه لا يتصور الإعجاز بالصَّرْفَة، وذلك لأنهم كانوا حينئذ يعارضونه بما اعتيد منهم من مثل القرآن الصادر عنهم قبل التحدي به، بل قبل نزوله، فإنهم لم يتحدوا بإنشاء مثله بل بالإتيان به فلهم بعد الصَّرْفَة الواقعة بعد التحدي، أن يعارضوا القرآن بكلام مثله صادر عنهم قبل الصَّرْفَة"^(١٤٦).

(١٤٥) - الجرجاني، الرسالة الشافية، ص ١٥٥

(١٤٦) - شرح المواقف: (٢٤٩/٨)

٩- السيوطي

يقول السيوطي مستدلاً بآية التحدي في الإسراء:

"... فإنه يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم، ولو سلبوا القدرة، لم تبق فائدة لاجتماعهم، لمنزلته منزلة اجتماع الموتى، وليس عجز الموتى مما يحتفل بذكره،..."^(١٤٧)

٩- الإجماع

ومن أقوى الأقوال والردود والحجج الواردة في إبطال القول بالصَّرْفَةِ الإجماع الذي حكاه القرطبي وقد مر معنا في طيات البحث ولا حرج من إعادة ذكره هنا لمسيس الحاجة إليه، والأمة لا تجتمع على ضلالة أبداً كما صح الخبر بذلك عن خير البشر في قوله عليه الصلاة والسلام: (إن الله قد أجاز أمتي من أن تجتمع على ضلالة)^(١٤٨)

وإجماع الأمة إنما كان قبل ظهور القول بالصَّرْفَةِ على أن إعجاز القرآن ذاتي... وقد حكى القرطبي الإجماع في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن)، فقال بعد أن ذكر قول القائلين بالصرفية: " وهذا فاسد، لأن إجماع الأمة قبل حدوث المخالف: أن القرآن هو المعجز، فلو قلنا: أن المنع و الصَّرْفَةِ هو المعجز، لخرج القرآن عن أن يكون معجزاً، وذلك خلاف الإجماع، وإن كان كذلك، علم أن نفس القرآن هو المعجز، لأن فصاحته وبلاغته أمر خارق للعادة، إذ لم يوجد كلام قط على هذا الوجه، فلما لم يكن ذلك الكلام مألوفاً معتاداً منهم، دل على أن المنع والصَّرْفَةِ لم يكن معجزاً".^(١٤٩)

ومن قال بالإجماع واستدل به على بطلان الصرفة كذلك علي بن محمد الجرجاني (ت: ٨١٢هـ) في شرح المواقف^(١٥٠) والألوسي في روح المعاني^(١٥١).

وفي الجملة فإن الرد على القائلين بالصَّرْفَةِ يُعد من الأقوال كذلك، فلا يُظن أن أقوال العلماء منفردة في القول ببطلان الصَّرْفَةِ فحسب، بل إن رودهم تعد من أقوى أقوالهم كذلك، وهي وإن كانت كثيرة غير أننا نختارنا أبرزها وأبينها على الدلالة ببطلان القول بالصَّرْفَةِ.

(١٤٧)- الإتيان: (١/٦-٧).

(١٤٨)- حسن بمجموع طرقه، السلسلة الصحيحة: (٣/٣١٩).

(١٤٩)- الجامع لحكام القرآن-لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: (ت: ٦٧١هـ) دار الكتب العلمية-

بيروت ١٩٩٣م-المجلد الأول ١-٢/ص: ٥٤

(١٥٠)- شرح المواقف: (٨/٢٤٩)

(١٥١)- روح المعاني: (١/٢٧).

المطلب الثالث: أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

١- إن القول بالصَّرْفَة زعم لا دليل عليه من العقل أو النقل.
٢- لقد انكشف نقض القول بالصَّرْفَة وبطلانه بأدلة من القرآن والحديث والإجماع وبأدلة أخرى قوية حاسمة.

٣- إن القول بالصَّرْفَة دحضه الواقع وكذَّبُهُ، فقد عرف تاريخ الدعوة الإسلامية أناسًا كذَّابِينَ من العرب لم تنصرف همهم عن محاولة معارضة القرآن بل بذلوا في ذلك كل همهم وغاية اهتمامهم. فكانت معارضتهم وصمة عار أبدية في جباههم، وازدادت البصائر إكبارًا للقرآن المجيد وخصائص إعجازه الذاتية. (١٥٢).

ولعل فيما مضى معتبر لأهل البحث والنظر، ولا اعتبار لمن نظره وعقله عن وصوله الحق قصر. والحمد لله رب العالمين.

بِحْثِ كِتَابِهِ

الدكتور/عرفة بن طنطاوي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن للدراسات العليا

بالجامعة الإسلامية والمعهد العالي للأئمة والخطباء - بمينيسوتا

والجامعة الإسلامية - بيروكسل

البريد: arafatantawy@hotmail.com

واتساب: ٠٠٩٦٦٥٠٣٧٢٢١٥٣

(١٥٢)- يُنظر: القول بالصَّرْفَة - مقال عن موقع جامعة أم القرى. بتصرف يسير.

مجموع الفهارس

أ- فهرس أهم المصادر والمراجع

- ١- أبو زهرة، المعجزة الكبرى - القرآن : لمحمد أبي زهرة(ت: ١٣٩٤هـ)، طبع دار الفكر العربي بالقاهرة - (د- ت).
- ٢- أبو موسى، الإعجاز البياني : د. محمد محمد أبو موسى(م)، ط ٢. مكتبة وهبة: ١٤١٨هـ.
- ٣- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري (ت: ٧١١ هـ) - لسان العرب، دار صادر - بيروت ١٩٥٥ م
- ٤- الأصفهاني، الحسين بن محمد المعروف بالراغب(ت: ٥٠٢ هـ)، المفردات، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، (ط: الأولى - ١٤١٢ هـ)، ت: صفوان عدنان الداودي.
- ٥- الإسفراييني، طاهر بن محمد أبو المظفر، (ت: ٤٧١ هـ)، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، المحقق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- ٦- الإيجي، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد، (ت: ٧٦٥هـ)، المواقف، دار الجيل - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة.
- ٧- البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور (ت: ٤٢٩هـ)، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، دار الآفاق الجديدة - بيروت الطبعة الثانية، ١٩٧٧ م.
- ٨- الرماني، علي بن عيسى(ت: ٣٨٤هـ)،، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله ود. محمد زغلول سلام، دار المعارف، ط ٤، القاهرة.
- ٩- الرافعي، مصطفى صادق بن عبد الرزاق(ت: ١٣٥٦هـ)،، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثامنة - ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م.
- ١٠- الزركشي، البرهان في علوم القرآن - لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت: ٧٩٤) تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم - الطبعة الأولى - دار إحياء الكتب العربية، مصر ١٩٥٧ - ٥١٣٧٦ م.
- ١١- السيوطي، الإِتقان في علوم القرآن - لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم - دار التراث بالقاهرة، بالقاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

- ١٢- السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت: ٩١١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، (الطبعة الأولى، ١٩٩٨م) تحقيق: فؤاد علي منصور.
- ١٣- السبحاني، الإلهيات، جعفر السبحاني (م) جعفر بن محمد حسين السبحاني الخياباني التبريزي - منشورات المركز العالمي للدراسات الإسلامية، إيران: (الطبعة الأولى، ١٤٠٩ - ١٩٨٩م)، عدد الأجزاء ٤
- ١٤- القرطبي، الجامع لحكام القرآن-لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: (ت: ٦٧١هـ) دار الكتب العلمية-بيروت ١٩٩٣م.
- ١٥- القطان، مباحث في علوم القرآن: مناع خليل القطان (ت: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م عدد الأجزاء: ١.
- ١٦- الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، المؤلف: د. مناع بن حماد الجهني (ت: ١٤٢٣هـ)، الناشر: دار الندوة للنشر; عدد المجلدات: ٢.

ب - فهرس الموضوعات

المحتويات

٥	دِيابَجَةُ البَحْث
٦	مُلخَص البَحْث
١٠	خِطَّة البَحْث
١٢	مِنهَجيَّة البَحْث
١٢	أولاً: أَمَهيَّة مَوْضوع البَحْث، وَنَحْتَصِرُه فِي النِّقَاطِ التَّالِيَةِ:
١٢	ثانِيًا: أَمُّ الدِّرَاسَاتِ السَّابِقَةِ وَأَبْرَزُهَا
١٤	ثالثًا: أَسباب ودواعي اخْتِيار مَوْضوع البَحْث
١٤	رابعًا: مَشكَلَةُ البَحْث وأَهْدافُه
١٥	خامسًا: مَنهَجيَّة البَحْث
١٦	تَمهيد فِي وَقْفَةٍ مَعَ مَناقِشَةِ القَوْلِ بِالصَّرْفَةِ
١٨	الفصل الأول
١٨	بِيان مَفهومِ الصَّرْفَةِ
١٨	المَطْلَبُ الأول: مَفهومِ الصَّرْفَةِ فِي اللُّغَةِ
٢٠	المَطْلَبُ الثاني: مَفهومِ الصَّرْفَةِ فِي الاصْطِلاحِ
٢٢	المَبْحَثُ الثاني: بِيانِ المَعْنى العَامِ المَقْصودِ بِالصَّرْفَةِ - إجمالًا وَتفصِيلًا -
٢٢	المَطْلَبُ الأول: بِيانِ مَعانِي الصَّرْفَةِ إجمالًا
٢٢	المَطْلَبُ الثاني: مَقاصِدِ للقائِلينِ بِالصَّرْفَةِ تفصِيلًا
٢٤	الفصل الثاني
٢٤	القَوْلُ بِالصَّرْفَةِ
٢٤	المَطْلَبُ الأول: المَصْدَرُ الأولُ لِفِكرَةِ القَوْلِ بِالصَّرْفَةِ
٢٥	المَطْلَبُ الثاني: وَفودِ القَوْلِ بِالصَّرْفَةِ، وَمَصْدَرِ تَلْقِيها وَالتَرْويجِ لَها
٢٧	المَطْلَبُ الثالث: أَقوالِ العُلَماءِ فِي إثباتِ تَلْقِي النِّظامِ لِفِكرَةِ القَوْلِ بِالصَّرْفَةِ
٢٨	المَبْحَثُ الثاني: أَبْرَزُ أَقوالِ القائِلينِ بِالصَّرْفَةِ مِنَ المَعْتزِلَةِ وَغيرِهِم
٣٣	المَطْلَبُ الأول: أولُ مَنْ قالَ بِالصَّرْفَةِ مِنَ المَعْتزِلَةِ

المطلب الثاني: القائلون بالصرفة من المعتزلة غير "النظام"	٣٥
المطلب الثالث: القائلون بالصرفة من غير المعتزلة، من الأشاعرة وغيرهم	٤١
المطلب الرابع: القائلون بالصرفة من الشيعة الإمامية	٤٦
المطلب الخامس: خلاصة القول بالصرفة	٤٨
المبحث الثالث: ردُّ شبهة القول بالصرفة وبيان بطلانها	٥٠
المطلب الأول: الرد على القائلين بالصرفة وبيان دلائل بطلانها	٥٠
المطلب الثاني: أقوال العلماء في رد القول بالصرفة وبيان بطلانها	٥٧
المطلب الثالث: أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة	٦٥
مجموع الفهارس	٦٦
ب- فهرس الموضوعات	٦٨

المركز في سطور

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله ومن وآله.

وبعد:

فإن شرف العلم من شرف المعلوم، وشرف كل علم بشرف متعلقه، وعلوم القرآن متعلقة بأشرف كتاب ألا وهو كتاب الله تعالى، ولذا تعد علوم القرآن من أجل العلوم؛ بل ومن أشرفها وأبركها وأعلاها قدرًا وأزكاها، وأعظمها أثرًا ونفعًا، والبشرية عمومًا والأمة خصوصًا لها أكثر احتياجًا على مر العصور والأزمان؛ وذلك لمسيب الحاجة لفهم معاني أي التنزيل، وإيضاح غريب ومبهم القرآن، وبيان مقاصده وأحكامه، وبيان دلائل هداياته، والجواب عن تساؤلاته، وبيان مجمل معاني آياته.

* وأهل هذا العلم نالوا شرفًا مرمومًا، وعلو قدر وشأن، ورفعة مكانة، وسمو رتبة؛ إذ جعلهم الله مرجعًا للعباد في الدلالة على إيضاح المراد من كلامه سبحانه وتعالى، وأي شرف يعدل هذا الشرف!

* ولا شك أن هذا من أعظم الدوافع وأعظم المطالب الداعية للتنافس في بذل العمر النفيس والوقت الغالي العزيز لنيل أعظم المراتب وأشرف الأمانى، وهذا مما يعين على البذل والتضحية في التنقيب والبحث في علوم القرآن بعلو همة وإقبال نفس لتحقيق تلك الرتب العالية، والفوز بالمكانة الرفيعة السامية، ونيل تلك المآرب الشريفة الغالية.

* هذا مع ما يمن الله به على من اشتغل بهذا العلم الشريف من التعلق بكتاب ربه وعمارة وقته وحياته به، وينزل الله عليه من السكينة والطمأنينة وشآبيب الرحمة، مع ما يورثه ربه من انشراح صدره وطمأنينة لنفسه وتزكية لفضاده وصلاح في معاشه، مع ما أعده له من جزيل عطائه وجزيل ثوابه في معاده، هذا مع ما يعود نفعه لعباده ببيان وإيضاح معاني تأويل كتابه والكشف عن أسرار تنزيله وبيان معاني آياته.

قال سبحانه في شأن كتابه:

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

* ومركز تأصيل علوم التنزيل للبحوث العلمية والدراسات القرآنية يسعى لتقديم أهم مباحث علوم القرآن الكريم في ثوب قشيب وحلل زاهية بتقريب معاني تلك الدراسات وتسهيلها وتقديمها بأسلوب سهل التناول قريب المأخذ سهل المنال يتناسب مع عموم المسلمين، مع ما ينهجه في ذلك من الأسلوب العلمي وطريقة البحث المنهجي التربوي الذي يفيد الباحثين المختصين.

* كما أن من أبرز أهداف المركز وأجلها العناية بمنهج وعقيدة أهل السنة والجماعة في كل ما يقدمه، مع تفنيد العقائد والمناهج المخالفة لمنهج الفرقة الناجية الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة - أهل السنة والجماعة.

* تلك هي أبرز الدوافع الداعية لتأسيس مركز تأصيل علوم التنزيل للبحوث العلمية والدراسات القرآنية، لخوض البحث * والتنقيب عن علوم القرآن وتقديمها للمسلمين عمومًا وللباحثين المختصين خصوصًا؛ وذلك لتعلقها بأشرف وأعظم وأجل كتاب ينبغي أن تبذل من أجل فهمه وتدبره والعمل به والتحاكم إليه والتداوي به، الهمم العوالي والمهج العوالي والعمر النفيس الغالي.

* كما يسعى المركز فيما يقدمه من بحوث علمية بتخريج الأحاديث النبوية وعزوها لمصادرها الأصلية والحكم عليها، عدا ما كان في الصحيحين لتلقي الأمة لهما بالقبول، وتنقية البحوث من الأحاديث المكذوبة والموضوعة والضعيفة قدر الممكن والطاقة.

* كما يسعى المركز كذلك في تقديم مادة علمية خالية من البدع والمحدثات والخرافات والإسرائيليات وكل ما علق بمصنفات علوم القرآن من كل ما لا يمت بدين الله وشرعه المطهر بصلة، ومن كل ما يخالف منهج أهل السنة والجماعة عقيدة، وشرعية، ومنهاجًا، قدر الممكن والطاقة والإمكانات المتاحة.

من إصدارات المركز

موسوعة

"تأصيل علوم التنزيل"

وَهَذِهِ ضَمْنُ مُؤَلَّفَاتِ الْعَبْدِ الضَّعِيفِ الْفَقِيرِ إِلَى عَفْوِ رَبِّهِ وَرَحْمَتِهِ وَمَغْفِرَتِهِ:

عَرَفْتُمْ سَيِّدَنَا طَهْرًا وَرَبِّي
عَفَا اللَّهُ عَنْهُ

الرئيس العام لمركز تأصيل علوم التنزيل للبحوث العلمية والدراسات القرآنية

وها هي مرتبة على النحو التالي:

- ١ - معالم التوحيد في فاتحة الكتاب - (دراسة تحليلية موضوعية)، (رسالة دكتوراه) (مطبوع ومنشور عن دار المأثور - بالمدينة النبوية - ١٤٤١هـ)
- ٢ - عناية الإسلام بتربية الأبناء كما بينتها سورة لقمان، (دراسة تحليلية موضوعية) في مجلدين (رسالة ماجستير)
- ٣ - التقرير لأصول وقواعد علم التفسير - مقرر دراسي "دراسات عليا"
- ٤ - تعليم المعلمين طرق ومناهج المفسرين - مقرر دراسي "دراسات عليا"
- ٥ - المدخل الموسوعي لدراسة التفسير الموضوعي - مقرر دراسي "دراسات عليا"
- ٦ - المنهج التأصيلي لدراسة التفسير التحليل - مقرر دراسي "دراسات عليا"
- ٧ - دلائل التوفيق لأصح طريق لجمع الصديق - مقرر دراسي "دراسات عليا"
- ٨ - الشفعة بين الجمع العثماني والأحرف السبعة في (مجلدين) وهذا البحث يعد موسوعة علمية مستقلة.
- ٩ - أحسن المناحي في إثبات أن الرسم العثماني توقيفي لا اصطلاحي
- ١٠ - الفتح الرباني في دلائل الإعجاز البياني - مقرر دراسي "دراسات عليا"
- ١١ - صيانة كلام الرحمن عن مطاعن أهل الزبغ والروغان - مقرر دراسي "دراسات عليا"
- ١٢ - موقف علماء الشيعة الإمامية من المصاحف العثمانية - مقرر دراسي "دراسات عليا"
- ١٣ - الذهب الإبريز في خصائص الكتاب العزيز
- ١٤ - جنى الخزفة في إبطال القول بالصرفة - مقرر دراسي "دراسات عليا"
- ١٥ - آيات بينات في إعجاز القرآن في إخباره عن المغيبات (دراسة تحليلية موضوعية)
- ١٦ - التبيان في بيان وجوه الإعجاز التشريعي في القرآن
- ١٧ - إيجاز القول في الإعجاز
- ١٨ - التحدي في القرآن
- ١٩ - صحيح المنقول الموافق لصريح المعقول في مناقشة ثلاثة تفاسير رتبت على ترتيب النزول.

- ٢٠- البرهان في حقيقة حب النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه للقرآن
- ٢١- إنحاف أهل الإيمان بدراسة الجمع الصوتي للقرآن "الجمع الرابع للقرآن الكريم" - تاريخ - وأحداث - وقائع - وأحكام - "دراسة تاريخية تأصيلية"
- ٢٢- آفات ومعوقات في طريق التسجيل الصوتي للقرآن
- ٢٣- بلوغ المرام في قصة ظهور أول مصحف مرتل في تاريخ الإسلام
- ٢٤- توجيه أهل الإيمان لصواب تسجيل القرآن
- ٢٥- الكواشف الجليلة في حكم قراءة القرآن بالمقامات الموسيقية
- أو: فصل النزاع بين التغني بالقرآن وتلاوته بـ "مقامات الشيطان"
- ٢٦- إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون
- ٢٧- التبصرة لمن أراد بتعليم القرآن وجه الدار الآخرة (مطبوع ومنشور عن دار المأثور - بالمدينة النبوية - ١٤٣٧هـ)
- ٢٨- تبصرة أولي الأبواب بمعاني فاتحة الكتاب - مقرر دراسي "دراسات عليا"
- ٢٩- كشف الوقيع في بطلان دعوى التفرقة بين السنة والشيعية
- ٣٠- التقيية أساس دين الشيعة الإمامية
- ٣١- قطع العلائق للتفكير في عبودية الخلائق
- ٣٢- الآداب النبوية والأحكام الشرعية في عيادة المريض وعبادته (مطبوع ومنشور عن دار المأثور - بالمدينة النبوية - ١٤٣٧هـ)
- ٣٣- (التوحيد من الكتاب والسنة) (مفهومه ومعناه - حقائقه وفضائله - دلائله ونواقضه)
- ٣٤- دليل الطالع والنازل في بيان حقيقة أعلى المنازل. (إياك نعبد وإياك نستعين)
- ٣٥- أطف اللطائف في بيان سبل الثلاث طوائف: (المنعم عليهم - المغضوب عليهم - الضالين)
- ٣٦- أوضح البيان في حقيقة نبوة لقمان
- وغيرها من البحوث - قيد التنسيق - .

مركز تاصيل علوم التنزيل
للبحوث العلمية والدراسات القرآنية

تاصيل

مركز تاصيل علوم التنزيل
للبحوث العلمية والدراسات القرآنية